مراد ويلفريد هوفمان

يوميات ألماني مسلم

ترجمة

د. عباس رشدي العماري

الطبعـة الأولـى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون ٥٧٤٧٠٨٣ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾

إلى رفاقى المسلمين فى الغرب

المحتويـــات

الصفحـة

الصفحـــة

الصفحـة

الصفحـــة

الصفحــة

تمهيـــد

تسلّط هذه التجليات الفكرية البارزة التى كشفت عنها هذه اليوميات الضوء على اقتراب المؤلف من الإسلام ، وهى العملية التى امتدت عبر سنوات طويلة وتوجت أخيراً باعتناقه النهائى للإسلام فى عام ١٩٨٠ .

وكما يشير مراد هوفمان فإن صفحات هذا الكتاب لا تعدو أن تكون « حواراً مع نفسه » فرضته طبيعته الألمانية الميالة إلى الاستغراق بعمق فى دراسة القضايا الأخلاقية والسلوكية والجمالية . ولقد دفعه نفوره من حضارة التكنولوجيا الحديثة المادية ، وكذلك من عقم الفكر السيسولوجى الغربى وما ينطوى عليه من إنكار لكل القيم المتعلقة بمصير الجانب الروحانى فى الإنسان إلى اكتشاف التناسق بين الأشكال الفنية فى العالم الإسلامى والنظرة الدينية لأبنائه - وهذا هو الاكتشاف الذى أوضح له فى حينه الارتباط الوثيق بين الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية ذاتها .

وكانت خبراته كدبلوماسى وكزائر لدول إسلامية مختلفة - معظمها فى شمال إفريقيا وتركيا - حافزاً له على أن يعكف على دراسة القرآن ، وأيقن على مر السنين أن اعتناق الإسلام هو النتيجة المنطقية الوحيدة لبحثه عن الحقيقة النهائية للحياة . واختار لنفسه اسم مراد الذى يعنى « المُبْتَغَى » ، وبمعناه الواسع « الهدف » أى أعز أهداف حياة ويلفريد هوفمان .

ولا يخامرنى شك فى أن هذه اليوميات التى تتضمنها الصفحات التالية

سوف تسهم إلى حد بعيد فى مزيد من التقدير للإسلام من جانب أولئك الغربيين الذين لا يزالون ينظرون إلى ديننا بشك بلغ حد العداء ، والذين يصرون بعناد على رفض مجرد التفكير فى احتمال هبوط وحى إلهى حقيقى بعد عصر المسيح ، لا سيما أن مثل هذا الوحى - بما يتسم به من وضوح وبساطة - يختلف اختلافاً جوهريًّا عن الكتاب المقدس وما يحفل به من لاهوت زخرفى ، وكذلك عن تجارب الغرب الدينية .

محمـــد أســـد

لشبونة فى ديسمبر ١٩٨٥

مقدمـــة

« إذا ما جهل المرء بأمر (١)
فما أيسر عليه من معارضته »

محمـــد عبـــده

بروكسل - صيف ١٩٨٦

لعله من الأيسر على المرء أن يوضح ما لا تكونه هذه « اليوميات » على أن يشرح ما تكونه .

فمن المؤكد أنها ليست تسجيلاً لاعترافات نفسية - درامية لشخص حديث الإيمان . كما أنها ليست محاولة لتمحيص ما لا يمكن تحليله : أى العناصر العاطفية والمعرفية المتكاملة تماماً والمحفزة على تغيير الديانة . كما أن هذه « اليوميات » ليست رصداً زمنيًا لسيرة ذاتية حتى فى تلك اللحظات التى تعكس فيها بصدق أحداثاً محددة - مثلما حدث فى مكة والمدينة . إن هذا الكتاب أقرب ما يكون إلى تصوير مراحل محددة لتلك العملية العقلية المفضية إلى اعتناق الإسلام ، والتى غذاها عدد محدود من التجارب الهامة ، وهى العملية التى قامت فيها ميولى الشخصية العميقة إزاء مقومات الإسلام الجمالية والثقافية ، أى حضارته وفلسفته ، بدور هام .

إن الدبلوماسيين كثيراً ما يُغْبَطُون على ما ينهلون تلقائيًّا من ثقافات أجنبية متعددة ولو بطريقة عرضية . بيد أن الوصول الفعلى إلى لب ثقافة أجنبية يتطلب ما هو أكثر من ذلك من الناحيتين الوجدانية

والثقافية ، وما ينطوى عليه ذلك من مغامرة تستهدف بلوغ الأساس الحقيقى للحضارة - أى الدين .

ولا مناص من أن يرى حديث العهد بالإسلام ، بلاده على « ضوء جديد » يحتم عليه أن يجرى حواراً مع نفسه ، وهو فى الحقيقة موضوع هذا الكتاب .

مراد ويلفريد هوفمان

نبوءات تتحقق ذاتيًّا

شنكتادى - نيويورك - ١٧ مايو ١٩٥١

مرّ علىّ الآن عام وأنا أدرس علم الاجتماع فى جامعة « يونيون كوليج » الواقعة بالقرب من نهر « موهوك » فى الجزء العلوى من ولاية نيويورك . وكان المنهج الدراسى لهذا الموضوع تجريبيًّا بحتاً ، ومن ثم لم ينطلق البحث فى وظائف الإنسان الاجتماعية وأنماطه السلوكية من الصور المستقرة فلسفيًّا ولاهوتيًّا عن طبيعة جوهر الإنسان وهدفه ؛ حيث تم حظر الأحكام القيمية باعتبارها « غير علمية » وذلك لصالح الجوانب الكمية . وخضع التفاعل الاجتماعى بين الرجل والمرأة لعملية إحصائية قياسية ، بحيث اقتصرت النظرة إلى كل من وظيفتيهما ودوريهما فى الحياة على مدى نجاحهما فى تحقيق التكامل الاجتماعى والمنفعة الاجتماعية . وهو ما يتفق مع النظرة الشائعة لنظرية سيجموند فرويد فى علم النفس عن الفرد ، والمفهوم المادى والآلى السائد عن الحياة والذكاء .

ويبدو هذا المنهج السلوكى شبيهاً بالطريقة التى طبقها كارل فون فريش لتحديد نسبة ذكاء النحل وعاداته الوراثية .

لقد وقفنا منذ سنوات طويلة قبل أن يكتب فانس باكارد « متسلقو الهرم » ، و « برية الجنس » ، و « المحرضون المختفون » ، وقبل أن يكتب كونراد لورنز « عن العدوان » على القوانين التى تحكم النشاط

الإنسانى بأسره وهذا المجتمع . بيد أننا لم نقف بعد على الأثر القيمى للبحث السوسيولوجى : إذ كلما قرأ الناس فى الإحصائيات عما يعد شيئاً « مألوفاً » ، جنحوا إلى تكييف أنفسهم مع هذا المعيار القيمى . وهكذا أصبحت السوسيولوجيا بمثابة نبوءة تتحقق ذاتيًّا ! . وفى الواقع كان زملائى الطلبة فى جماعة إخوة (بسى - أوبسيلون) أسرى لوازع تكييف أنفسهم جيداً مع هذا المعيار حتى يبدوا عاديين .

ومن الواضح أن مثل هذا المنهج إزاء الحقيقة الإنسانية لا يبدو متفقاً مع الأنثربولوجيا المؤسسة على الفلسفة . ومن الواضح أيضاً أن اللا أدرية السوسيولوجية المقنعة وراء علم « السلوكيات » سوف تجنح بالناس بعيداً عن النسيج التقليدى للأخلاقيات التلقائية الذى يثبت دعائم المجتمع .

وما من شىء كان يمكنه أن يصور هذا الانهيار المنهجى للحواجز الأخلاقية أكثر من نزعة الرياضة الجنسية الفاضحة السائدة فى البيئة الدراسية التى أنتمى إليها . وإذا كان من المتصور أن التكيف الاجتماعى - مجاراة الآخرين - يعد بمثابة أعظم الأهداف المرجوة من وراء كافة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان ، فإن أى شىء وكل شىء بما فى ذلك الحقيقة ذاتها يبدو أمراً نسبيًّا . وهكذا يرغب الإنسان فى أن يفعل ما يتوقع منه الآخرون أن يفعله ، أو كما يسميه جورج سيميل « إنسان بلا شخصية » ، إنساناً جديداً أسيراً لوعيه الاجتماعى بشكل مطلق .

وينظر إلى هذا النوع من السوسيولوجيا باعتباره لا أيديولوجى بل ومعادياً للأيديولوجية . وفى الحقيقة فإنه لا يعدو أن يكون ديناً مزيفاً يرتدى قناعاً ويختفى داخل رداء أحد العلوم الطبيعية المشكوك فى مصداقيته .

ألا يعتبر موقفاً أيديولوجيًا بكل معنى الكلمة أن يرفض المرء طرح أسئلة جوهرية عن الإنسان مثل : من أين ؟ وإلى أين ، ولماذا ؟ أو أن يسخفها . وهى الأسئلة التى لم يملك كل الفلاسفة الجادين وعلماء اللاهوت إلا طرحها فى كل العصور .

ألا يعتبر علم التربية الواقع تحت تأثير السوسيولوجيا ، والساعى إلى تحقيق التطابق عند حد القاسم المشترك الأدنى نتاجاً لنظرية « **الرؤية العالمية** »[1] ؟

حقّا إن هذا النوع من السوسيولوجيا ليعد نتائجه مسبقاً . حيث لا يعتبر الإلحاد بالنسبة له فرضاً عمليًا فقط ، وإنما بديهيًا أيضاً . وإذا كان ذلك قد أصبح هو المنظور العالمى بالنسبة للإنسان الأمريكى ، فالحال كذلك بالنسبة لأوروبا .

وكيف يمكننا إذن أن نواجه ديناً مزيفاً كالماركسية « العلمية » إذا كنا نحن أيضاً قد اعتبرنا الإلحاد أسلوباً من أساليب الحياة ، معرضين بذلك النظام القيمى الغربى للآثار المضاعفة للأدرية . ومن ثم لتحييد القيم ؟

---

(١) فلسفة فردية أو عرقية فى تفسير التاريخ أو غاية العالم .

حوادث لا ينجو منها أحد

هولى سبرنجز ـ المسيسبى ـ ٢٨ يونيو ١٩٥١

انقضى أسبوعان كاملان وأنا أواصل رحلتى بطريقة « الأوتو ـ ستوب » ، حاملاً من المتاع ما يزيد قليلاً على ما يلزمنى للعمل كنادل (أو على الأقل كمساعد للنادل) متجهاً من ولاية نيويورك الشمالية عن طريق نيوجيرسى وكارولينا الجنوبية إلى فلوريدا والعودة منها إلى جورجيا . كنا حينذاك نتوقع فى أية لحظة أن نصل إلى ممفيس فى تنيسى . كان يداعب خيالى حلم السير فوق كوبرى المسيسبى هناك .

وعندئذ برز أمامنا من حيث لا ندرى ظل ، فارتعشت قدم السائق بجوارى على دواسة البنزين ، ولم يستطع أى من الجانبين أن يفرمل .

وفى صباح اليوم التالى ظهرت الصحيفة المحلية تحمل عنواناً رئيسيًّا « حادث تصادم فى المواجهة » ، وأوردت أن بعض الثمالى اقتحموا بسيارتهم من الاتجاه المخالف حركة المرور فى الطريق العام . وعندما فحصنى الأطباء فى المستشفى وجدوا كسراً فى فكى العلوى ، وقطعاً فى شفتى السفلى وكسر ١٩ من أسنانى ، وقد انخلعت ذراعى اليمنى من مكانها ، وحدث ثقب عميق فى ركبتى اليمنى ، ولكنى لم أصب بارتجاج فى مخى أو بصدمة نفسية .

كانت السيارتان ـ وهما من طراز « شيفروليه » ـ قد تصادمتا بمقدمتيهما بسرعة إجمالية تبلغ ٩٥ ميلاً فى الساعة تقريباً . وكانت

فرصتى للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التى كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أنى قفزت من الطابق الخامس من مبنًى مرتفع .

وعندما كان الجراح يحاول إعادة وجهى الممزق إلى ما كان عليه ، تساءل بصوت مرتفع عما كان عليه شكلى قبل الحادث ، وتمكنت بحركة من رأسى أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفرى فى طقم ملابسى « الجينز » المخضبة بالدماء . وأخذ الطبيب لبعض الوقت يجيل بصره على التوالى بين صورتى فى جواز سفرى وتقاطيع وجهى الممزقة ، ثم همهم متردداً بأنه يمكننى أن أجرى جراحة تجميل بعد بضع سنوات .

وأضاف بتحفظ وهو يحقننى بجرعة مورفين فى أول ليلة لى بالمستشفى :

- « يا عزيزى إن المرء لا ينجو فى مثل هذه الحوادث ! لعل الله قد ادخر لك شيئاً فى المستقبل » .

وبعد ٢٩ عاماً ، أى فى ٢٥ سبتمبر عام ١٩٨٠ ، استطعت أن أدرك معنى هذا .

الصور تنتقص من الخيال

غرناطة - قرطبة - ٧ يوليو ١٩٥٨

حتى المشاهير من الخبراء الألمان فى الفن والعمارة الإسلاميين من أمثال إرنست كونيل ، وكاثرينا أوتو دورن ، والفريد رينز ، يجدون صعوبة غير عادية فى التعريف بمجال تخصصهم . ويذهب أوليج جرابر ممثلاً للرأى الراجح إلى أن أسلوب الفنانين المسلمين ، وكنتيجة لخبراتهم الشخصية واحتكاكهم بثقافات سوريا وبيزنطة وفارس والقبائل التركية ، قد اتسم بالتنوع الشديد إلى الحد الذى لم يظهر فيه سوى عنصر واحد كعلامة مميزة لأساليب الفن الإسلامى ، ألا وهو استخدام الخط العربى المزخرف .

ومع ذلك فإنه حتى الصبية الصغار قد أصبحت لديهم حاسة لا تخطىء فى معرفة المشغولات الإسلامية باعتبارها تنتمى لنوع محدد من الفنون .

وبطبيعة الحال ليست هناك حركة فنية ، بما فى ذلك الحركة القوطية ، بدأت من القدم . وكذلك الفن الإسلامى الذى لم يبدأ من الصفر ، وإنما استوعب (من الفنون الأخرى) أثناء تطوره . ومع ذلك فإن الدين الإسلامى يتمتع بالقدرة على ترجمة جوانب معينة من العقيدة إلى مبادىء جمالية .

لذا كان من الصحيح أن تثير العمارة الإسلامية فى زخرفتها الخارجية والداخلية رغم تنوعها الكبير ، شعوراً بالمكان ذا طابع إسلامى مميز يستوعب ملامحه البارزة والدقيقة .

وهو ما يمكن للمرء أن يشهده ـ على سبيل المثال ـ فى مبانى وباحة قصر الحمراء فى غرناطة ، أو فى المساجد المميزة مثل تلك التى توجد فى قرطبة والقيروان والقاهرة ، واسطنبول وخاصة منها مساجد السليمانية ، والسلطان أحمد ورستم باشا ، وسوكولو محمد باشا . ويصدق نفس القول على حدائق الحمراء ومنطقة الحرم فى قلب مكة .

وترجع الخاصية الإسلامية المميزة لهذه التجربة الفنية إلى عدة عناصر ، هى على وجه التحديد :

- المثل الأعلى الخاص بالبساطة فى الواجهات الخارجية للقصور الإسلامية ، (والتى تكاد توحى للمرء بالمسلمة الجميلة التى تسدل الحجاب على وجهها عندما تغادر دارها) .
- الطابع الديموقراطى اللاطبقى للإسلام الذى يغلب على تصميم أماكن العبادة الإسلامية .
- الدرجة العالية من التجريد ، والتى تتفق مع جلال الله عن الوصف عند المسلمين .
- الأبعاد الإنسانية فى تكوين النسب المعمارية ، والتى تعكس حرص الإسلام على التوازن ، والاعتدال ، ومنهج الوسطية فى معالجة كل الموضوعات .
- تجرد أماكن الصلاة من المناخ السحرى (الذى يدل على خلو الإسلام من الطقوس والأسرار المقدسة والغموض) .
- تصميم الحدائق بوحى من وصف القرآن للجنة .

ولكم يستولى على المرء الشعور العميق بالسمو بكل معنى الكلمة ، عندما يجد نفسه فى هذه الأماكن . إن الذى لا يستطيع أن يصلى فى مثل هذا المسجد لن يتعلم أن يصلى فى كاتدرائية .

كما أن غياب الصور الطبيعية التى تمثل الإنسان ، أو الله (وذلك رجس من عمل الشيطان) فى مناخ إسلامى ، لا يتعلق بتعاليم القرآن بقدر ما يتعلق بالخوف من عبادة الأصنام والوثنية . كما أن التجريد المتمثل فى التداخل اللامحدود للزخرفة العربية (الأرابيسك) يطلق عقال العقل للتركيز فى الله الجليل عن الوصف ، والتحديد ، والقياس ، والمنزه .

ومن ثم فإن الصور ليست هى الوسيلة المجدية لإخصاب الخيال الميتافيزيقى ، وإنما على العكس من ذلك فإنها تنتقص من الخيال .

التسامح إلى حد إنكار الذات

كامبردج - ماساشوسيتس - ٤ يونيو ١٩٦٠

عندما كنت فى منتصف امتحاناتى النهائية بكلية الحقوق بهارفارد قررت أن أتزوج ، وتبسيطاً للأمور تم ذلك فى أبرشية هارفارد بواسطة قس من المؤمنين بوحدانية الرب والرافضين للتثليث . واقتصرت مراسم ما قبل الزواج على سؤاله لى عما إذا كنت قد تحررت من أية ميول للشذوذ الجنسى قد تكون كامنة لدىّ .

وعلى الإفريز الممتد أمام المذبح كانت هناك أسماء منقوشة على الترتيب التالى : بوذا ، كونفوشيوس ، المسيح ، موسى ، « محمد » . ولقد وجدت هذه الباقة المنتقاة التى ترضى ميول كل الناس ، مسلية إلى حد كبير إذ تشمل التسامح إلى حد إنكار الذات . ولكن المسألة لم تكن على هذا النحو تماماً ، حيث جرى التلاعب بالتسلسل التاريخى حتى يأتى ترتيب اسم المسيح فى وسط هذه الأسماء . إلا أنه من المثير للسخرية أن هذه الطريقة قد جاءت بوضوح باسم محمد فى النهاية ليصبح آخر الأنبياء ، ومن ثم خاتمهم .

واستولى تأملى فى كل هذه الرموز على انتباهى فى الوقت الذى كان ينبغى لى فيه أن أولى اهتماماً أكبر لصيغة الزواج الانجليزية العتيقة المعقدة . ولذلك هممت مسرعاً عندما طُلب منى أن أكرر عبارة « وإنى أعاهدك على أن أكون مخلصاً » .

جراداية - ٩ أبريل ١٩٦٢

في حانة الفندق الوحيد فى الواحة تصادف جلوسى إلى جوار رجل من إقليم « موزابيت » . وبينما كان الرجل يرتجف من تكييف الهواء البارد على الرغم من ارتدائه لبرنس مصنوع من الصوف الثقيل ، تجاذبنا أطراف الحديث محاذرين الخوض فى أنباء الحرب الجزائرية التعيسة التى تدور رحاها فى الخارج .

ولكن عندما ذكرت أننى فرغت لتوى من قراءة الترجمة الفرنسية للقرآن (أو . بيسيل / أحمد التيجانى . القرآن ، باريس عام ١٩٥٤) أطبق الرجل فمه وبدا عليه الارتياب .

واتضح لى الآن أن الرجل نتيجة لالتزامه بالتفسير المتحفظ للإسلام - كدأب أهل موزابيت - اعتقد أننى قد جئت شيئاً إدًّا كأولئك الذين يعبثون برسالة الله .. كما تلقاها النبى محمد (ﷺ) من الملك جبريل بلسان عربى ، وليس بغيره من اللغات .

كما بدأت أدرك الآن - بعد أن شهدت رد الفعل العنيف إزاء مجرد محاولة الترجمة - مغزى أمر آخر لاحظته ، وأنا أتخذ طريقي عبر شوارع جراداية الضيقة التى تصفر فيها الرياح ، وقد تناهت إلى أذنى ، من خلال نوافذ المدارس المفتوحة ، أصوات الصبية الحادة وهم يرتلون الآيات القرآنية باللغة العربية التى لا يكاد يفقهها هؤلاء الصغار ، فضلاً عن أنهم لا يتحدثون بها .

إن هذا الإصرار على المحافظة على القرآن بلغته العربية الأصلية ليس تقليداً بدائيًّا على الإطلاق . وإنما هو على العكس من ذلك تماماً حيث تبدو مسألة منطقية إذا ما آمن المرء بأن القرآن يضم وحى الله كاملاً وبصورته الأصلية كما أنزله . وعلى ضوء هذه الخاصية يحتل القرآن مركزاً متميزاً بين الكتب السماوية الأخرى ، بما فى ذلك أى جزء من تلك النصوص المعروفة باسم « العهد الجديد » . شأنه فى ذلك شأن الفارق بين الأدب الأصلى والأدب المنقول .

وعلى ضوء هذه الخلفية والتجارب المؤسفة التى مرت بها عملية ترجمة الإنجيل من الآرامية عبر الإغريقية واللاتينية ، إلى الإنجليزية والفرنسية أو الألمانية ، أيكون من المثير للدهشة إذن أن يبدى المسلمون خشوعاً إزاء أصغر نص من نصوص القرآن الأصلية ، فلا يلمسونه إلا بأيدى وأبدان طاهرة ؟ .

كما ينبغى للمرء أن يدرك أن الفلاسفة المسلمين قد توصلوا ، بمنطق أرسطو ، إلى أنه بما أن الله أزلى ، وكامل ، وثابت ، وعليم ، فلا بد من أن تكون رسالاته (كلماته) كذلك قد وجدت منذ الأزل حتى قبل أن يهبط الوحى « وتظهر » فى التاريخ الإنسانى .

ولقد تسببت قضية ما إذا كان القرآن قد خلق أم لم يخلق أصلاً فى حدوث انقسام بين العلماء المسلمين على النحو الذى تسبب فى انقسام زملائهم المسيحيين حول قضية خلق العالم أو وجوده منذ الأزل .

ورغم ذلك ، ليس هناك ضرورة لأن يعتقد المرء بسذاجة أن لغة الله هى العربية .

فقد نزل الوحى القرآنى على محمد (ﷺ) باللغة العربية لسبب

بسيط وهو أنه لم يكن يعرف لغة سواها . ذلك أنه كان عربيًّا يبشر الناس باللغة العربية .

وليس هناك من سبب مشروع لاعتبار ترجمة الكتاب (القرآن) تجديفاً مادامت هذه الترجمة لا تعتبر بديلاً أو ندًّا للأصل .

ولهذا السبب فإن الترجمات التى يقوم بها مسلمون تظهر عادة تحت مثل هذا العنوان « معانى القرآن » ، ويظهر فيها النص العربى مع الترجمة جنباً إلى جنب .

وقد يبدو وجيهاً ذلك التساؤل حول إمكانية أن ينجح شخص ما فى يوم من الأيام بعد المحاولات العديدة ، فى أن يقوم بترجمة طبق الأصل للقرآن .

وهناك الكثيرون الذين يهاجمون هذا الرأى .

كحول من أجل ألمانيا

الجزائر - فى ٣ مايو ١٩٦٢

أوشك بعض بنى وطنى الذين كانوا ينقبون عن البترول فى صحراء الجزائر الصخرية أن يفقدوا صوابهم ، وهدد البعض منهم بهجر معسكر العمل . ولاغرو ، فقد كانت حرب التحرير تقترب منهم ، وثارت التكهنات حول حدوث مذبحة بعد الانسحاب المرتقب للحراس الفرنسيين .

ولهذا السبب أصدر إلىّ سيجفريد فون نوستنتش القنصل العام الألمانى فى الجزائر (العاصمة) تعليماته بالعمل على رفع معنويات الرجال بصندوقين من الويسكى . أليس البترول لألمانيا ؟ إذن فالكحول من أجل ألمانيا !

وطرت وسط عاصفة مروعة فوق جبال أطلس ، مصطحباً معى مدير شركة البترول الألمانية فى طائرة متهالكة من طراز دى سى - ٣ من مخلفات الحرب العالمية الثانية .

وتم وضع صندوقى الويسكى على الأرض بجوار مقعدى ، إلا أنهما لم يكونا مثلى مشدودين إلى مكانهما بحزام الأمان . ولقد حاولت عبثاً أن أبقيهما فى مكانهما كلما وقعت الطائرة فى أحد مطبات الهواء حيث كانا يطفوان فى الهواء حتى يبلغا ذراع المقعد ، كما لو كانا قد تحررا من وزنهما ، ثم يسقطان على الأرض عندما تستعيد الطائرة توازنها

كنت أعلم جيداً أنه بدون الويسكى سوف تفشل مهمتى . وإذا لم يكن هناك الكحول فلا ارتفاع للمعنويات .

امتلأ جو الطائرة برائحة الويسكى ، وأصبح الموقف سخيفاً للغاية ، وبالكاد نجوت من دوار الجو .

وفى معسكر العمل حيّانا الحاضرون ببعض التحفظ والخوف ، بيد أنه كان هناك العديد من زجاجات الويسكى السليمة التى دارت عليهم كما يحدث فى أفلام رعاة البقر . وأكدت لبنى وطنى أن الموقف فى الجزائر العاصمة يبدو أخطر بكثير ، حيث تدور حرب العصابات في المدينة يوميًّا ، ووعدتهم بترحيلهم فى الوقت المناسب إذا اقتضت الضرورة ذلك .

وبينما كنت أقول ذلك - مع عدم اقتناعى التام به - لم أملك إلا التفكير فى المصير المؤسف للجنود الجزائريين فى القوات الفرنسية الذين كانوا يحرسون هذا المعسكر ، وقد وقفوا هادئين متمالكين لرشدهم ومستغرقين فى تأملاتهم . كانت ثقتهم تنبع من إيمانهم ، ومن إيمانهم فقط بالإسلام .

أما العمال الألمان فقد كانوا بحاجة إلى الكحول لرفع معنوياتهم . وهكذا كان الكحول من أجل ألمانيا .

وجدت الحل

الجزائر - فى ٢٨ مايو ١٩٦٢

عندما كنت أعمل ملحقاً بالقنصلية الألمانية العامة فى العاصمة الجزائرية شهدت مشاهد مروعة للجريمة والرعب خلال الشهور التسعة الماضية . إذ لا تكاد تمر ليلة واحدة بدون انفجارات قنابل البلاستيك التى كان يصل عددها فى بعض الليالى إلى مائة انفجار أو أكثر .

ومر شهر بعد الآخر ، وقد سقط فى العاصمة الجزائرية وحدها نحو ألف شخص بالرصاص الذى كان يطلق معظمه من مسافات قريبة للغاية . كانت جبهة التحرير الوطنى تقاتل فرنسا من أجل تحقيق استقلال الجزائر .

وكان المستوطنون الفرنسيون والأسبان فى الجزائر المستعمرة - والذين يطلق عليهم اسم « **الأقدام السوداء** » يحاربون هم أيضاً باريس حيث كانوا يحاولون الإبقاء على البلاد تحت السيادة الفرنسية بأى ثمن .

وكان جيشهم السرى - المعروف باسم « منظمة الجيش السرى » - هو الذى يتولى مهمة إرسال شاحنات البنزين المشتعلة إلى الأحياء الجزائرية واصطياد الرجال الجزائريين كما لو كانوا أرانب . ومن شقتى فى حى « البيار » استطعت أن أشاهد بقايا (أطلال) إحدى القرى الجبلية بعد أن هاجمتها القوات الفرنسية بقنابل النابالم . وعندما توجهت إلى مستشفى « مصطفى » للبحث عن مرضى ألمان ، رأيت ضحايا جدداً

يتدفقون عليه بمعدل واحد كل عشرين دقيقة ، وكانت الإصابة واحدة بالنسبة للجميع ، طلقة رصاص فى الرأس وفى معظم الأحيان من الخلف .

والآن ، وبعد أن عقدت الهدنة واحترمتها كل من فرنسا وجبهة التحرير الوطنى الجزائرية بعد أن تحدد تاريخ استقلال الجزائر ، فإن منظمة الجيش السرى والتى ضمت بين صفوفها العديد من الفارين من الفيالق الألمانية - تبذل جهداً محموماً من خلال تصعيدها لأعمال الرعب لدفع الجزائريين للرد عليها ، ومن ثم خرق الهدنة مع فرنسا ، وتأجيل موعد الاستقلال ، ربما لأجل غير مسمى .

وتنفيذاً لهذه الخطة الجهنمية بدأ الكوماندوز التابعون لمنظمة الجيش السرى عمليات تصفية الشباب الجزائرى المثقف فى الجامعات ، وكذلك قتل النساء الجزائريات الذاهبات للتسوق ، واللائى كان من المحظور المساس بهن حتى ذلك الحين .

وفى اليوم التالى عندما عاد أطفال جيراننا وقد جحظت عيونهم رعباً من الفظائع التى شاهدوها ترتكب مع الجزائريين ، خففت أمهم من روعهم بقولها .. إنهم ليسوا سوى عرب .

وطوال هذه الفترة التى ظللت فيها مسلحاً دائماً بمسدسى الوالتر ب. ك. من عيار ٧,٦٥ ملليمتر الجاهز للإطلاق ، بحثت مراراً عن ذلك السر الذى مكّن هؤلاء الجزائريين الملتزمين من احتمال كل هذا الاحتقار ، وسوء المعاملة والعقاب .

وأخيراً وجدت مفتاح هذا السر وأنا أعود لقراءة الآية ١٥٣ من سورة البقرة التى تقول ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ** ﴾ .

رد فعل المسلمين

بون – ١٧ أكتوبر عام ١٩٦٤

أسندت إلىّ خلال هذين العامين الماضيين مسئولية العلاقات الألمانية مع الهند وباكستان ، وسيلان ، ونيبال ، وبوتان ، وسيكيم ، وذلك من خلال عملى فى القسم السياسى بوزارة الخارجية .

وعلى الرغم من تعاملى فى كثير من الأحيان مع الهندوس والبوذيين فى الهند وسيلان ، فإنى مازلت عاجزاً عن أن أتكهن بثقة بردود أفعالهم . وعلى النقيض من ذلك ، كان يبدو لى أننى قادر على أن أفهم بالضبط رد فعل المسلمين الباكستانيين والهنود ، وحتى أولئك الذين يعيشون منهم فى إقليم البنغال . ذلك أنه من السهل التنبؤ بردود أفعالهم .

ولم تكن هذه الظاهرة وليدة وجود روابط غامضة بين الشعبين الهندى والألمانى ، وإنما لوجود تفسير أكثر رشداً من ذلك ألا وهو أن المسلمين يعتنقون ديناً مستمدًا من كتاب سماوى ملائم للبحث الفقهى - مثلنا - أى أنهم أيضاً « من أهل الكتاب » .

ولقد توصل إلى هذه النتيجة البروفيسور محمد حميد الله ، وهو عالم هندى مسلم يتقن عدة لغات ، عندما كشف فى دراسة قام بها عام ١٩٤١ أن الدستور الاتحادى للمدينة الذى أعلنه محمد (ﷺ) فى العام الأول للهجرة ، كان أول دستور مكتوب فى تاريخ الدول .

والفضل يرجع إلى ابن إسحاق فى أن وصلتنا تلك الوثيقة المذهلة التى تضمنت ٥٢ مادة كاملة . وتعالج هذه المواد قضايا التكامل الاجتماعى والاقتصادى مع المهاجرين من أهل مكة ، والعلاقة القانونية بين جموع القبائل اليهودية والعربية المتحدة ، وقواعد المساعدة المتبادلة ، والأحلاف الحربية ، والتحكيم ، ومنح حق اللجوء (محمد حميد الله ، أول دستور مكتوب فى العالم ، الطبعة الثالثة ، لاهور ١٩٧٥) .

وعلى ضوء هذه الخلفية يبدو من المثير للدهشة حقًّا ألا يتمكن الدبلوماسيون الغربيون والمسلمون من ذوى الثقافة القانونية من إيجاد أرضية مشتركة بينهم فور لقائهم .

حـب المـال

هونج كونج ـ ١٦ يونيو ١٩٧١

فى خلال رحلتنا الجوية الطويلة إلى طوكيو وكيوتو للمشاركة فى المشاورات التى تقرر عقدها بين موظفى إدارة التخطيط السياسى الألمان واليابانيين ، توقفت مع رئيسى الدكتور ديرك أونكن فى هونج كونج .

وبينما كنا نطير فى الأجواء العليا لفيتنام ، تمكنا من رؤية الهجوم الجوى على إحدى قوافل هوشى منه التى كانت بادية للعيان ، فى الوقت الذى كانت فيه مضيفة الخطوط الجوية الفرنسية تقدم لنا ـ بتناقض صارخ فى لاواقعيته ـ وجبة فاخرة من إعداد مطعم ريتز .

وفى تلك الأثناء كانت مستعمرة التاج البريطانى تبدو قاعدة نموذجية للقوات خلف الجبهة ، « منطقة ترويح » ، وصاح أحدهم بصوت مرتفع وواضح :

ـ « يا مومسات العالم ، اتحدن معاً »

وكان علىّ كسائح غربى أن أنفض عنى هؤلاء الفتيات وأنا أتجول فى قاع المدينة كما لو كن أسراباً من الناموس ، ولكم أدمى قلبى أن أجد فتاة صينية صغيرة تتعلق بى وتتوسل إلىّ برجاء يائس : « دولاراً واحداً فقط يا سيدى ! » . وكان على هؤلاء الفتيات إذا ما أردن أن يحصلن على دولارات أكثر من ذلك أن يقدمن شيئاً أكثر من المألوف ،

وينخرطن فى ممارسة الشذوذ الصارخ على غرار بعض الأساليب الصينية السادية فى اللواط .

وعلى أية حال فقد عانت القوات الأمريكية فى تلك الأيام التى سبقت اكتشاف مرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) من الإصابات بالأمراض التناسلية بقدر ماعانت من عدد الإصابات التى نزلت بها فى الحرب الحقيقية .

وكلما تسبب الانحطاط الجنسى فى خلق مشاكل جماهيرية ، فإن رد الفعل المسيحى يبدو أمراً متوقعاً . ففى البداية يكون هناك التحذير بالرادع الأخلاقى ، حتى أن البعض يرون فى الشواذ جنسيًا ومدمنى المخدرات ضحايا لانتقام إلهى عادل .

وفيما بعد ، وعلى ضوء التفسيرات الطبية الأكثر وجاهة ، تغدو هذه التحليلات الميتافيزيقية ، ومن ثم اللاعقلانية ، مرفوضة ، بل ويجرى تذكير المسيحيين بأن يبدوا العطف على جيرانهم الذين جلبوا التعاسة على أنفسهم .

وينظر المسلمون إلى هذه الأمور على نحو أكثر اتزاناً حيث يعلمون أن القواعد التى سنّها الله (سبحانه وتعالى) للسلوك الإنسانى لم يضعها من أجل ذاته (جل جلاله) وإنما من أجل الإنسان . وأنه سواء التزم الناس بتلك النواميس المعنوية والأخلاقية أم لم يلتزموا ، فإن ذلك لن يضيره شيئاً . وعلى حد قول عبد القادر الجيلانى الذى أمّن عليه ابن عربى « إن الله (سبحانه وتعالى) غنى عن خلقه » .

فإذا ما احترم البشر هذه القواعد فإنما يفعلون ذلك من أجل صالحهم ، وإذا ما خالفوها فإنهم يضرون أنفسهم ، وفى هذا فصل الخطاب .

ولنضرب مثلاً على ذلك بالسائق السكير الذى يصطدم بشجرة ،

أو باللوطى الذى يصاب بالإيدز وينقله إلى زوجته التى لا تشك فى أمره : حيث تتكرر نفس الآليات . والقضية هنا ليست قضية إنزال عقوبات ، وإنما هى نتائج طبيعية صرفة للعيش فى تناقض وتعارض مع النظام الفطرى للحقيقة التى نحن جزء منها .

ومن هذا المنظور يبدو من الملائم للغاية أن يطلق على قانون السلوك الإسلامى (الشريعة) اسم « الصراط » .

وكثيراً ما يطلب المسلمون فى دعائهم البقاء على هذا الصراط كلما قرأوا **فاتحة** القرآن ، طالبين الهداية إلى الصراط المستقيم .

على درب الأسقف آريوس

فيينا ـ ٢ نوفمبر ١٩٧٤

قام الرحالة البريطانى السير ريتشارد بيرتون (١٨٢١ ـ ١٨٩٠) بعد عودته بفترة وجيزة من رحلة الحج الشاقة والمحفوفة بالمخاطر إلى المدينة ومكة فى عام ١٨٥٣ ، بكتابة تقرير عن مغامراته بلغ من دقته أنه يكاد يكون نقلاً مصوراً لهذه المغامرات ، وذلك فى كتابه « رواية شخصية عن الحج إلى المدينة ومكة » ، ويعد مصدراً لا نظير له عن المشاهد المعاصرة لإقليم **الحجاز** .

ولم يثر ذلك إلا قليلاً من الاستغراب فى المجتمع الفيكتورى آنذاك حيث اعتقد الناس أن ادعاء بيرتون اعتناق الإسلام ليس إلا أكذوبة ضخمة ، واتهمه نقاد آخرون بعكس ذلك : ألم يبالغ بيرتون فى اندماجه الشديد فى تمثيل دور المسلم ؟

والحقيقة أن بيرتون توغل فى العقيدة ، والتاريخ ، واللغة ، والثقافة الإسلامية إلى درجة لم يسبقه إليها أحد .

والآن يبدو بيرتون وكأنه لم يعتنق الإسلام فحسب ، وإنما أصبح صوفيًّا من أتباع طريقة سيدى عبد القادر الجيلانى . وهى حقيقة لم يستطع المؤلف سوى أن يلمح إليها بشكل ضمنى فى الطبعة الثالثة للكتاب عام ١٨٧٩ . وفى ذلك الوقت أشار بيرتون بروح الوحدانية الصوفية إلى أن المسلمين الذين يبجلون إبراهيم مثلهم مثل المسيحيين

الهراطقة (أى أتباع الأسقف آريوس) هم أقرب إلى تعاليم المسيح من المسيحيين الذين اتبعوا التفسيرات اللاحقة للقديس بولس والأسقف أثناسيوس . وعلى أية حال فإن المسلمين كانوا أكثر استنارة وتسامحاً وترابطاً أخويًّا من معظم المسيحيين .

ومن البديهى أنه كان من المستحيل على بيرتون أن يتغلب على آلية الدفاع المألوفة التى يحاول أهل الغرب من خلالها تزييف الحقائق التى لا تتفق مع تعصبهم ضد الإسلام .

إن هذا الحاجز النفسى المعرقل لوظائف الإدراك يكاد يكون اليوم مثلما كان عليه فى عصر الحروب الصليبية ، بغض النظر عن التحول المعاصر لموقف الفاتيكان نحو الديانة الشقيقة الأخرى .

إضفاء طابع مؤسسى على التسامح

صوفيا ـ ٢٦ يوليو ١٩٧٦

عندما عدت من المسابقة الدولية الثامنة لفن الباليه ـ وهى مباراة أوليمبية عالمية غير رسمية لفن الرقص ـ والتي جرت فى مدينة « فارنا » الواقعة على ساحل بلغاريا على البحر الأسود ، اكتشفت فى صوفيا كنيسة صغيرة تقع دون مستوى الشارع كما لو كانت قد سقطت فى حفرة ، وكان هذا البناء الغريب الشكل ، والذى يطلق عليه اسم « كنيسة القديسة بيترا سمارينسكا » ، إحدى التحف الفنية الرائعة فى العاصمة البلغارية التى شيدت عندما كانت البلاد تشكل جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . وفسر لى المرشد الذى كان معى هذا الوضع الغريب للكنيسة كدليل على التفرقة التى كان المسلمون يمارسونها ضد الأقلية المسيحية . بيد أننى كنت أنظر إلى هذا الموضوع من زاوية أخرى .

فقد كنت أعلم أن المسيحيين الأسبان ـ بعد أن نجحوا فى استعادة بلادهم ـ قاموا بتدمير كل المساجد ـ من ملقا حتى غرناطة ، ومن إشبيلية حتى طليطلة ـ بطريقة وحشية ، ولم ينج المبنى الرائع فى قرطبة (قصر الحمراء) من التخريب تماماً إلا لوجود إمكانية تحويله إلى كاتدرائية . وفى زمن لاحق فى القرن ١٩ لقى « مسجد الجمعة » فى الجزائر (العاصمة) نفس المصير .

كما كنت أعلم أيضاً أنه من العبث البحث عن مسجد واحد من مئات المساجد التى شيدت فى الصرب واليونان فى ظل الحكم العثمانى . ولا يوجد فى بلجراد سوى مسجد صغير واحد مجرد من أية قيمة معمارية لم تنله يد التخريب مع بقية المساجد الأخرى .

يا له من تناقض صارخ : فالغزاة المسلمون لم يسمحوا باستمرار الديانة المسيحية فى الكنائس التى كانت قائمة فحسب ، بل الأكثر من ذلك أنهم سمحوا ببناء المزيد من الكنائس فى ظل الحكم الإسلامى . وما الذى يمكن للسائحين الأجانب أن يعجبوا به أكثر من تلك التحف المعمارية مثل كنيسة تشورا (كاريكامى) البيزنطية الشهيرة ، وكاتدرائيات الروم الأرثوذكس والأرمن فى اسطنبول ؟ .

وماذا كان يمكن أن يبقى حتى اليوم قائماً على عروشه من الأديرة والكنائس الصربية فى مناطق ليك أوهريد ، وجراكانيكا ، وديكانى ، وسوبوكانى ، وبلك ، وستوديينكا ، ومن آيا صوفيا السامقة فى اسطنبول لو أن المسلمين اقتدوا بالتشدد المسيحى ؟

إن الفارق الواضح بين التشدد المسيحى والتسامح الإسلامى يستمد أصوله من تعاليم القرآن القاطعة بإبداء التسامح نحو المؤمنين من أهل الكتاب ، والتى تطورت إلى مدونة قانونية تفصيلية لحماية الأقليات والأجانب معاً . فالآية ٢٥٦ من سورة البقرة تنص صراحة على أنه ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ .

والتعددية الدينية جائزة فى الآية ٤٨ من سورة المائدة (٥) كسبيل لاستباق المؤمنين الخيرات إلى الله وتأتى الآية الثامنة من سورة الشورى (٤٢) واضحة أكثر بنصها على أنه « .. ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة » .

ومثل هذا التسامح يمكن فهمه على نحو أفضل إذا ما عرف المرء

أن المسلمين ينظرون إلى المسيح باعتباره أعظم أنبياء اليهودية كافة ﴿ .. وَالَّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىَ .. ﴾ (سورة الشورى : الآية ١٣) .

وفى ظل التشريعات الإسلامية الليبرالية التى تنظم حقوق الأقليات وامتيازاتهم ، يسمح للمسيحيين بتنظيم أمور طائفتهم وبممارسة عباداتهم فى الكنائس . وكان غير المسلمين يعفون من أداء الخدمة العسكرية مقابل **جزية** عادلة قبل أن تظهر إلى الوجود فكرة « رفض التجنيد تلبية لنداء الضمير » بزمن طويل .

وكما كان الشأن بالنسبة للطوائف اليهودية فى ظل الحكم المسيحى ، فإنه كان على أهل الذمة فى البلدان الإسلامية أن يرتدوا زيًّا معيناً ، وإذا كان لم يسمح لهم بتقلد وظائف حكومية أو عسكرية فقد سمح لهم بالمنافسة فى الأسواق (التجارة) ، وبالإبداع فى الفنون ، وبإنتاج وتناول لحم الخنزير وشرب النبيذ .

وطبقا للفقه الإسلامى - كما كان الشأن بالنسبة للقانون الرومانى - شُرِّع مبدأ الالتزام بالعقود بغض النظر عن ديانة الشريك .

وللأسف فإن الحروب الصليبية المذمومة كثيراً ما أدت فى الممارسة ، خلافاً للمبادىء النظرية إلى حدوث تدهور ملحوظ فى أوضاع المسيحيين تحت الحكم الإسلامى . وكنتيجة (لهذه الحروب) حُظر على غير المسلمين فى أواخر العصور الوسطى بناء كنائس أعلى من المساجد القريبة منها - ومن هنا جاء السبب فى البناء المنخفض لكنيسة القديسة بيترا سمارينسكا ! وإنه لمن الحقيقى أيضاً أن فقهاء الشافعية يُحرّمون قرع أجراس الكنائس .

ولكن ما قيمة مثل هذه التفرقة على ضوء حقيقة أن الحكام المسيحيين لم يحرّموا فقط الآذان للصلاة ، وإنما حرّموا الإسلام نفسه .

الصـوم بهـدف

بلجراد - رمضان فى عام ١٩٧٧

كان البستانى الذى يعمل لدىّ ألبانيًّا من إقليم كوسوفو الصربى الواقع فى جنوب شرق يوغوسلافيا ، وهو رجل نحيف مثل العصا ، كما يقولون بسبع أرواح مثل القطط ، وكان مسلما ورعا . وكان يحرص على صوم شهر رمضان (القمرى) كله حتى يكون جديراً بحمل اسمه (رمضانى رمضان) وذلك دون أن يقصر فى أى واجب من واجبات عمله . وبعد أن يفطر من صيامه بوجبة خفيفة فى الوقت المحدد فى المساء يسير ثلاثة أميال إلى المسجد الوحيد فى بلجراد ، والقريب من حديقة « كاليمجدان » لأداء صلاة العشاء بصحبة بعض رفاقه من الألبان وإخوانه من سرايبفو وموستار ، أو غيرهما من المدن الأخرى فى الجمهورية الإسلامية التابعة ليوغوسلافيا الشيوعية ، البوسنـة والهرسك .

وكنا من وقت لآخر ندعو « رمضانى » لتناول وجبة الإفطار معنا حيث كانت هذه هى فرصتنا الوحيدة ، لأنه كان يرفض أن يتناول معنا حتى مجرد قدح من القهوة فى الصباح حالما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

ولقد شهدت مؤخراً نفس الإصرار لدى مسلم آخر صائم كان مسافراً على الخطوط الجوية اليوغوسلافية إلى إسطنبول . وكان ينظر إلى

ساعة يده بين القينة والأخرى دون أن يلمس طعامه ، ويرفض مع ذلك أن تحمله المضيفة بعيداً حتى تحين ساعة الإفطار .

ولن يكون من المهم متى يبدأ الصيام ومتى ينتهى إذا ما كان الهدف من وراء ذلك هو مجرد انقاص الوزن ، أو علاج الجسد من خلال تطهيره ، أو إظهار التضامن مع الجوعى فى إفريقيا ، أو صقل العزيمة بتدريبات للرياضة العقلية .

ولكن كل هذه النتائج ليست إلا فوائد ثانوية عابرة ، لأن المسلم يلتزم بصوم رمضان أولاً وقبل أى شيء آخر لأن الله (سبحانه وتعالى) قد فرضه عليه .

لولا الوحى لظللنا عمياناً

بلجراد ـ ٢٨ مارس ١٩٧٨

كنت قد جريت على عادة قراءة كتابين بالتناوب ، متنقلاً من قراءة موضوع صعب إلى آخر . وحالياً مازلت متبعاً لهذه الطريقة فى قراءة بعض الأعمال الكلاسيكية فى الفلسفة الإسلامية فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر مثل كتاب « **تهافت التهافت** » لابن رشد ترجمة سيمون فان دن برج (لندن ١٩٦٩) .

وجرياً على عادة العلماء الغربيين ، حتى بداية القرن التاسع عشر وطوال ذلك القرن فى مناقشة القضايا الجدلية ، لجأ ابن رشد إلى استخدام أسلوب التهوين من شأن خصمه اللدود العلامة الشهير أبو حامد الغزالى وهجوه . وفى ذلك كان ابن رشد يقوم باقتباس فقرة بعد أخرى من كتاب الغزالى « **تهافت الفلاسفة** » حتى أتى على كل فقراته ، متناولاً كلاً من هذه الفقرات بالتفنيد ومبتدئاً بعبارته التياهة : « بيد أنى أقول .... » .

فى أوائل العصور الوسطى كان الفلاسفة المسلمون قد انزلقوا إلى نفس شرك التساؤلات التى حاكها أساتذتهم من الإغريق ، ومن ثم نهجوا على منوال أفلاطون ، وأرسطو ، وبلوتينوس وبروكلوس ، فقصر الفلاسفة الفرس والعرب بحثهم على قضايا سرمدية الكون (أو خلقه) ، والعلاقة بين الموجود والمحتمل ، وطبيعة الروح ... الخ . ولشد

ما انبهر هؤلاء المفكرون المسلمون بعلم الكونيات ، وبالتساؤل عما إذا كان الله الباقى هو المحرك الأول ؟ وعلة دوران الأجرام السماوية على النحو الذى تدور عليه وليس عكسه ؟ . وعدد الملائكة . ؟

أما أكثر قضايا عصرنا الفلسفية سخونة مثل السببية ومغزى الوجود ، فلم تحظ منهم باهتمام يذكر فى تلك الأيام ، ولم يقتربوا من هذا المنظور إلا عندما عنّ لهم التساؤل عما إذا كان الله (عز وجل) قد أنفذ مشيئته عندما خلق الكون ؟ هل استولى أرسطو ، هذا الثعبان ، على عقول هؤلاء الفلاسفة المؤمنين فقصروا نظرتهم على الفلسفة فى الماضى فحسب ؟ أم أنهم أدركوا أن انخراطهم فى البحث عن الدوافع الإلٓهية هو أمر غير مجدٍ فضلاً عن كونه كفراً ؟

لقد احتفظت لنا الأيام بأعمال عديدة للمفكرين المسلمين والناطقة بما أوتوا من ذكاء خارق ، خطتها أقلام عمالقة الفكر من أمثال الفارابى والرازى ، والكِنْدى ، وابن عربى ، وابن سينا فضلاً عن أولئك السالف الإشارة إليهم .

إن أكثر ما يثير انتباهنا هذه الأيام هو إدراكنا المثير للأسف بأن إخضاع القضايا الميتافيزيقية لمنهج تفسير منطقى لن ينتهى بنا إلا إلى نتائج لا منطقية . والحقيقة أن هؤلاء الرواد من الفلاسفة لم يبرهنوا بشكل قاطع إلا على مسألة واحدة فقط ، وهى أننا لا نستطيع من خلال منطقنا الإنسانى أن نصل إلى إدراك حقيقة المجهول بشكل يقينى .

وإذا كان لا وجود للماضى أو للمستقبل بالنسبة إلى الله (عز وجل) ، وأن طبيعة وجوده تتمثل فى الحضور الأزلى ، وإذا كان وجوده خارج حدود الزمان والمكان ، فما الذى يمكننا أن نعرفه عنه حقًّا بتساؤلاتنا العقلانية أو اللامنطقية ؟ .

وإزاء لغز الوجود هذا فإنه حتى الحقائق المدركة بالحس مثل تلك التى ندركها بالشم أو اللمس أو الرؤية ، لا تزال مستغلقة على الفهم . وبعبارة أخرى لولا الوحى لظللنا عمياناً .

جرعة كبيرة من الماء

بلجراد ـ رمضان فى عام ١٩٧٨

قررنا هذا العام أن نصوم على سبيل التجربة ، وأن نلزم أنفسنا بما هو مفروض على المسلمين حرفيًّا فى هذا الشأن . ومع ذلك فإنه ، خلافاً للعادة المنتشرة فى معظم البلدان الإسلامية ، فإننا لم نحاول أن نعوض أثناء الليل ـ على حساب النوم ـ ما حرمنا أنفسنا منه من طعام أثناء النهار (هل يتفق مع روح وصية حظر أكل اللحوم فى أيام الجمع أن يقيم الكاثوليك ولائم فاكهة البحر فى تلك الأيام نفسها ؟)

وعلى أية حال فقد كان من الأمور الهامة أن يشرب المرء ما وسعه من السوائل قبل أن يمضى فى صومه (حيث لا مجال للمقارنة هنا بين الإنسان وبين الجمل الذى منحه الله خزاناً طبيعيًّا للماء) .

ويعد اليومان الأولان أصعب أيام الصوم حيث يعانى المرء من الصداع المستمر ، ولذلك فإن نصيحتنا هى أن يستمر المرء على صيامه حتى عندما يبيح الشرع له قطع هذا الصيام ، مثلما يفعل لو كان على سفر .

وأثناء النهار ينبغى للمرء أن يخطط لتحقيق أفضل استخدام لإمكانياته البيولوجية عندما تصل إلى ذروة فاعليتها . وعلى ضوء ذلك قمت بتصنيف واجباتي إلى أعمال **يتحتم** علىّ القيام بها ، وأخرى **ينبغى** القيام بها ، وثالثة **لا بأس** من القيام بها . ولذلك فإنى كنت أباشر الأعمال التى

يتحتم علىّ القيام بها عندما يبلغ مستوى ضغط الدم عندى أقصى ارتفاع طبيعى له ، مرة فى الضحى وأخرى فى منتصف الظهيرة . كما حرصت بشدة أثناء انخفاض منسوب السكر فى دمى أو انخفاض ضغط الدم على عدم تعريض حياة الآخرين (كذلك حياتى) للخطر أثناء القيادة . ذلك أن الحوادث القاتلة المترتبة على الإهمال أو غياب العقل قد تضاعفت الآف المرات .

وعندما يصوم المرء فى يوغوسلافيا فإن هناك ما يذكره دائماً بأنه شخص غريب عن المكان ، ومن قبيل ذلك اضطراره عندما يكون فى وزارة الخارجية فى « كنيزا ميلوشا » إلى رفض التحية التقليدية التى تقدم له كالقهوة التركية والعصير والماء .

ومع ذلك فقد لمست عندما كنت أرفض بأدب هذه الحفاوة أثناء رمضان ، قدراً من التفهم بل والاحترام أيضاً ، وقد يعزى هذا إلى إيواء تلك الدولة الملحدة لقرابة مليون من الرعايا المسلمين .

وبعد انقضاء أسبوع من الصوم (ليس أقل من ١٨ ساعة يوميًّا إذا جاء رمضان فى فصل الصيف) يبلغ المرء مرحلة يصبح فيها الاقتصاد فى الحركة والكلام أمراً طبيعيًّا . وعليه فقد ازدادت حركتى بطئاً ولم ألجأ للحديث إلا عند الضرورة ، وكنت أرقب ما يجرى حولى من مظاهر الاندفاع والإسراف بنظرة محايدة ، وأشعر بأننى أكثر تحرراً وحكمة يوماً بعد آخر .

وعندما كنت أبدأ تناول طعامى ، فى المساء بعد حلول الظلام ، بزيتونة وجرعة كبيرة من الماء ، كما تقضى بذلك التقاليد ، أشعر وكأننى أجلس إلى مائدة حافلة بأطايب الطعام .

إن جسم الإنسان قريب الشبه بالنبات المروى حديثاً بعد طول ظمأ ،

يكفيه أقل القليل ليستعيد حيويته بسرعة فائقة ، وها أنذا أجرب متعة تناول غذاء نباتى خفيف .

ويوماً بعد يوم تزداد معنويات المرء ارتفاعاً ، كما تزداد ثقته فى قدرته على حسن ترتيب أولوياته .

وفى التحليل النهائى ألا يبدو أن الهدف المبدئى للصوم هو تقوية مناعة الإنسان ضد ذلك الإغراء المسمى **بالشرك** ؟ : أو بعبارة أخرى ضد المجازفة بتأليه كل ما هو ليس ضروريًا على الإطلاق فى حياة الإنسان ؟

سمو الروح وآلام الجسد

أدرنة ـ ١٢ يوليو ١٩٧٨

توج سنان كبير مهندسى السلطان سليمان الكبير منذ عام ١٥٣٩ م إنجازات حياته الفنية ببناء مسجد السليميه فى أدرنة فيما بين عامى ١٥٦٧ و ١٥٧٤ م .

إلا أن عدداً قليلاً من زوار هذا المسجد هم فقط الذين يعرفون أنه استطاع أن يدمج ثلاثة سلالم مستقلة فى داخل مئذنة واحدة رفيعة . ويلتف كل من هذه السلالم حول الآخر دون أن يتحد به إلا عند المدخل أو المخرج المشترك .

وتفضل علىّ خادم المسجد بالسماح لى بصعود السلم استثناء من القاعدة . وشعرت بالتوتر الشديد وأنا أجدُّ صاعداً ببطء فى الظلام الدامس ـ مثيراً فزع الوطاويط والطيور الضالة (بقدر ما أفزعتنى بدورها) ـ وظللت أتقدم نحو الأمام بنفس الساق منحنياً بشدة . ولم تكن هناك أمامى طريقة أخرى للحركة داخل هذا الحيز اللولبى الضيق . وسرعان ما سرت الرعشة فى ركبتى ، ولكنى لم أفكر فى العودة أدراجى إذ لم يكن بوسعى الاستدارة .

وعلى الرغم من تأزم الموقف فقد انطوى على دلالة عميقة . فلم أكن أعرف متى أفرغ من صعودى ، وإن كنت أعرف أن هذا لا بد وأن يحدث . لقد اخترت سبيلاً واحداً واتخذت قراراً لا رجعة فيه .

وعندما عدت فى النهاية وقد علقت بى الأوساخ ، واستبد بى الإنهاك ، ومتبرماً إلى حد ما ، شعرت بأننى قد حققت كسباً عظيماً ألا وهو سمو الروح على حساب آلام الجسد .

مباراة فى الباليه ، ومباراة فى الدين

بلجراد ـ ٢٦ يناير ١٩٧٩

اعتدت ، متوسلاً بصفتى كمحام ناشىء ، وناقد لفن الباليه ، وسكرتير تنفيذى لنادى باليه ميونيخ ، أن أنظم حفلات رقص كل عام فى مسرح « جارتنر بلاتز » بهذه المدينة . وكان البرنامج دائماً يعتمد على العروض التى تقدمها المدارس الخاصة للباليه فرادى ، ولم يكن يحضره مراقبون .

وكان هدفى الحقيقى والمستتر من وراء ذلك أن أبرهن لأولياء الأمور السذج ، ولطلبة فن الباليه على وجود فارق نوعى كبير بين مدارس الباليه فى المدينة ، حيث ارتفع مستوى البعض منها إلى درجة الامتياز ، بينما هبط مستوى البعض الآخر إلى حالة يرثى لها .

وكنت آمل أن يؤدى اشتراك هذه الأخيرة فى مباراة مع المدارس الأولى إلى دفعها إلى تصفية نفسها .

ولعل جيرهارد سيزسني قد سار ، سرًّا ، على نفس المنوال عندما قام بنشر نتائج استطلاع رأى أكاديمى بين رجال الدين من الكاثوليك والبروتستانت ، والبوذيين ، والمسلمين ، واليهود . ("Die Antwort der Religionen", rororo 1971, 1st ed. 1964).

وأيًّا كانت حقيقة نوايا المحرر ، فقد كان مما يحز فى المرء حقًّا أن يقرأ تلك الإجابات الغامضة المبتسرة الساخرة التى أدلى بها مندوبان عن

الديانة المسيحية ، لا سيما مع اختلافها عن الإجابات الموجزة المحددة المتزنة التى قدمها كل من محمد أسد عن الديانة الإسلامية ، وكيرت فيلهلم عن الديانة اليهودية .

فلقد ملأ الأستاذ البروتستانتى إرنست وولف عدة صفحات يناقش فيها العلاقة بين الحقيقة التى تدرك بالحواس ، وتلك التى تدرك بدونها ، بغير أن يشير ولو لمرة واحدة إلى الله .

ونسوق هذا الدليل على مدى استغراق الأستاذ الكاثوليكى « يوهان بابتيست متز » فى الإطناب حيث يقول .. « .. وطالما استقر الاعتقاد بأن هذا الوحى عن طريق يسوع المسيح هو حدث الخلاص الفريد ، والذى يجد فيه التساؤل عن الوجود الإنسانى إجابته التاريخية الحاسمة الجازمة ، فإن هذه الإجابة يجب أن تظل قاطعة ومقننة ، وفى متناول الإنسانية على مر العصور ، وهو الأمر الذى تحقق بالفعل من خلال « الكتاب المقدس » ، وذلك بالرغم من أن ثبوت الوحى كتابة قد نزل بين قوم يملكون من قبل ناموساً تاريخياً ملزماً » . ما هذا !؟

وعلى النقيض من ذلك قام محمد أسد بهدوء بصياغة كلماته التالية بوضوح : « إن الإسلام لا ينظر للحقيقة على نحو مزدوج ... ومن ثم لا يستطيع المرء أن يوجد تناقضاً بين « حقيقة أخرى » ، و « الحُقيقة التى نراها » إذ لا يجوز الحديث إلا عن الجوانب المدركة وغير المدركة من حقيقة واحدة شاملة » .

ويقول : « إن العلوم الطبيعية وحدها لا تستطيع أن تساعدنا على اكتشاف كافة جوانب الحقيقة ... وحتى يزودنا الله بالهداية الضرورية التى عجز العلم عن إرشادنا إليها ألهمنا إياها فيما سمى بالوحى الذى أنزله على شخصيات مؤهلة تأهيلاً خاصا لتلقيه يطلق عليهم اسم الأنبياء » . وكان ذلك فصل الخطاب .

القسمة والمكتوب ليسا مبرراً للتقاعس

بون ـ ٢٧ فبراير ١٩٨٠

علمنى كتاب سيرة محمد أسد الذاتية الرائع « الطريق إلى مكة ـ فرانكفورت ١٩٥٥ » أن الجبرية الشرقية ليست اتخاذ موقف إزاء المستقبل ، وإنما إزاء الماضى إذا فهمت على وجهها الصحيح .

إن التسليم بالقدر (القسمة) ليس عذراً للتقاعس ، وإنما هو ببساطة الإيمان بأن إرادة الله كانت وراء كل ما حدث رضينا بذلك أم لم نرض .

وكان مما أثار اهتمامى أيضاً ذلك الرأى الذى أبداه أسد ، ومفاده أن العداء الازدواجى للشهوات « الجسدية » الذى جاء به القديس بولس إلى الكنيسة المسيحية يحط من كرامة الإنسان ككيان متكامل . وكنتيجة لذلك بعثت المانوية[١] إلى الحياة من وراء قناع مسيحى ، مكرسة للفصل حتى يومنا هذا بين ما يسمى « المقدس » و « المدنس » ، وهو ما يبدو غريباً تماماً عن نظرة الإسلام الشمولية للإنسان .

كما استرعى أسد الأنظار إلى تلك الحقيقة التى كثيراً ما يتم تجاهلها ، وهى أن محمداً (ﷺ) أحدث ثورة فى النظام القيمى للمجتمع العربى المعاصر عندما أحل المفهوم السياسى الحديث جدًّا عن المجتمع محل

---

(١) ملحوظة المترجم : « المانوية » هى الإيمان بعقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام أخذت اسمها عن اسم مؤسسها « مانى » من بلاد الفرس (٢١٦ ـ ٢١٧ ق . م .) المترجم .

الروابط القبلية التى فاقت فى أهميتها كل شىء (مثل النزعات القومية فى أيامنا هذه) ، ومن ثم وحد بين أمته برابطة التضامن الدينى فقط .

وجاءت كذلك تعاليم محمد (ﷺ) بشأن الصلاة قاضية على جذور الخيلاء والتفاخر فى نفوس بدو قريش بسجودهم فى خشوع أثناء الصلاة .

عـرض الدراويـش

قونية - ١٣ يوليو ١٩٨٠

كنا نطل من فندقنا على المنظر الرائع للقبة الخضراء لضريح مولانا جلال الدين الرومي والتى كانت نسخة طبق الأصل من قبة مسجد النبى (ﷺ) فى المدينة المنورة . وكانت طريقة ابن الرومى والتى عرفت باسم الدراويش الدوارين (الطريقة المولوية) قد استمرت فى البقاء رغم الحظر الذى فرضه عليها كمال أتاتورك فى ١٣ ديسمبر ١٩٢٥ ، مثلما خضعت جماعة الجزويت للحظر البابوى الذى صدر عام ١٧٧٣م واستمر ٤١ عاماً .

وفى هذه الأيام يُقدم الدراويش عروضهم باعتبارها عرضاً مسلياً للفن الشعبى ، ولكن المشاهد سرعان ما يكتشف أن هذا العرض ليس فى حقيقته إلا مشاركة فى بعض الطقوس الدينية التى ازدهرت على هامش الإسلام ، حيث يبدو من الواضح لأول وهلة أن الحركة الدوارة الدائبة التى يقوم بها الدراويش ليست نوعاً نادراً من الرقص وإنما هى طريقة للاستغراق فى التأمل الدينى .

وكان أستاذى فى فريق تعليم الناى أحد الدراويش المتحمسين ، وقد حاول أن يوجهنى - قبل دراسة القرآن ذاته - إلى دراسة مؤلف أستاذه ابن الرومى الأدبى الضخم والمسمى بـ « المثنوى » الذى يضم مجموعة هائلة من الأشعار الصوفية الدينية .

ولا غرو في تعلق أستاذى بأشعار ابن الرومى الصوفية بما تحفل به من وجد وصبابة عارمين تتلاشى فيهما كل الفوارق الدوجماطية .

إن هؤلاء الدراويش يقودون أتباعهم نحو الوحدانية ذات الطابع الإسلامى الموشحة بظلال من مذهب وحدة الوجود ، فهل هذا هو المقصود « **بالطريقة** » ؟

اسطنبول - ٢٠ يوليو ١٩٨٠

ليس هناك من يتوقع إجابة عن تساؤلاته إذا ما استفسر عن طول قامة المسيح ، أو عن أحب الألوان إلى نفسه ، وعما إذا كان مغرماً بالعسل أم بالثوم ، وأى نوع من الأحذية كان يضعه فى قدميه أول ما يفعل فى الصباح ؟

والحقيقة أن كل هذه المسائل لا تعدو أن تكون جوانب ثانوية فى حياة شخصية عظيمة . ولكن الأمر الذى يستوجب التوضيح هنا هو أننا عرفنا كل هذه التفاصيل وغيرها عن النبى محمد (ﷺ) . بينما لم يظهر المسيح من خلال الأناجيل إلا كشخصية أسطورية غامضة الملامح .

ويعزو البعض هذا الاختلاف إلى صعوبة تسجيل حياة شخص عاش قبل محمد (ﷺ) بـ ٦٠٠ عام .

وثمة تفسير أفضل يرجع إلى الأحاديث العديدة التى تم جمعها وتمحيصها بعناية كبيرة عن الإسلام فى بدايته ، والتى نقلت إلينا فى مجموعات **الأحاديث** القيمة التى رواها فقط الثقاة من شهود العيان ، فى الوقت الذى لا تمثل فيه الأناجيل فى معظمها سوى تجميع تم فى عصور لاحقة اعتمد فقط على الأقاويل الشائعة .

فلم نسمع مطلقاً حديثاً ليسوع رواه بنفسه قط ، ولكننا قرأنا فيما بعد تفسيرات آخرين لما كان يقصده قوله .

وباعتبار « العهد الجديد » مصدراً ثانويًا وليس مصدراً أوليًا مباشراً ، فإنه لا يجوز وضعه على قدم المساواة مع القرآن إطلاقاً ، وربما كان من الأجدى مقارنته بمجموعة **الأحاديث** المشكوك فى صحتها (الأحاديث الضعيفة) .

وفى هذا الصدد فإن أكثر الأمثلة إثارة للحرج هو محاولة تطبيق مبادىء البحث التاريخى الإسلامى على « العهد الجديد » حيث نضطر إلى حذف كافة رسائل القديس بولس منه ، لأنه لم يشاهد المسيح قط أو يقابله أو يتحدث معه .

ونظراً للتأثير القوى للتفسيرات التى قدمها القديس بولس للأحداث التى أحاطت بالمسيح ، على التطور الأيديولوجى للمسيحية ، فإن المسيحيين فى وقتنا الحاضر (وذلك على خلاف معتنقى المسيحية الأوائل من اليهود) يمكنهم أن يسموا أنفسهم « البوليسيين » وليس المسيحيين .

والحقيقة أن كافة مظاهر الهرطقة فى المسيحية مثل تأليه المسيح ، وفرضية « الثالوث المقدس » ، وإضفاء صبغة شيطانية على الجسد قد بدأت مع شاءول بولس .

أخلاقيات المعاملات الإسلامية

إسطنبول - ٢٢ يوليو ١٩٨٠

بينما كنا نستعرض واجهات المحال فى سوق اسطنبول الشرقية المغطاة (الكابالى شارش) توقفنا لبرهة أمام محل لبيع الهدايا التذكارية ليس به أحد ، ولكن سرعان ما أقبل علينا صاحب المحل المجاور ليعرض علينا أن يبيعنا بعض السلع من محل جاره - لم يحاول إغراءنا بالشراء من محله ، ولم يحاول عقد صفقة لصالحه .

وفى مكان آخر دفعنا مقدماً وبالكامل ثمن سترة جلدية يتم تفصيلها وتسليمها لنا فى ألمانيا (وكنا نعرف أننا سوف نتسلمها على الرغم من أننا لم نقابل التاجر مطلقاً من قبل ، وربما لن نقابله أبداً فيما بعد) .

وفيما بعد طلبت زوجتى من تاجر مجوهرات أن يُثّمن ماسة نقية ، فأخذها واختفى بها لمدة نصف الساعة وذلك حتى يستشير صديقاً أكثر خبرة منه بذلك (ولم يساورنا القلق لإيماننا بأننا سوف نسترد هذه الماسة ذاتها ، وليست واحدة أخرى غيرها) .

كيف يمكن شرح المبادىء الأخلاقية لهذه المعاملات - تجار يتحلون بالإيثار بدلاً من أن تتملكهم نوازع المنافسة الدامية ؟ هل يمكن أن يعزى هذا إلى مناخ الشفافية الذى يسود السوق الشرقية ؟ أم أن الأمر يرجع إلى بقية من مبادىء الأخلاق السامية التى كانت سائدة إبان النظام السابق للطوائف المهنية ؟

أم أنه نتاج لمنهج قدرى فى التعامل مع المشروع الاقتصادى ؟ أم أنه ثمرة لتغلب مشاعر الأخوة وممارستها عملاً ؟

إن أخلاقيات المعاملات الإسلامية تتحلى بمضمون حقيقى ، وتجعل من المتعذر ردّ النظام الاقتصادى الإسلامى إلى مجرد بديل مؤسسى . ومع أنه ليست هناك ندرة فى أدبيات هذا الموضوع - وخاصة فيما يتعلق بالنظام المصرفى غير القائم على سعر الفائدة - إلا أنه ليس هناك نموذج عملى واحد لنظام التشغيل له طابع إسلامى خالص .

إن أحد الأسباب الرئيسية لهذا الوضع هو عدم وجود نظام قانونى محدد وشامل للمعاملات الإسلامية ومثلما هو الحال بالنسبة للقانون الأساسى لجمهورية ألمانيا الاتحادية ودستور الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن القرآن والسنة يرسمان لنا ، فى معظم الأحوال ، الخطوط الرئيسية للإطار العريض لاقتصاد السوق القائم على الملكية الفردية والمسئولية الاجتماعية .

أما بالنسبة للقواعد الأكثر تحديداً فهى تقتصر فى معظمها على مجالات العقود وفرض الضرائب ، والتى تتميز بتحريم دفع الفوائد الخالصة ، والربا ، والمعاملات التى يوجد فيها عنصر المقامرة مثل المضاربات على السلع التى تتضمن بضائع آجلة .

ولهذا السبب يمكننا أن نجد جوهر السلوك الإسلامى فى المعاملات فى الأوامر الأخلاقية القرآنية ذات الصلة وهو ما لا يختلف عن أسس الاقتصاد المسيحى .

وفى الحقيقة نجد أن الإسلام يستطيع القيام بدور إصلاحى لعادات التعامل التجارى على الأقل من خلال إصلاح الإنسان ، لأن المهم فى نهاية الأمر ليس هو النظام ، وإنما العقلية الاقتصادية ، وأخلاقيات المنتجين والمستهلكين والمقاولين والمصرفيين المسلمين التى تتسم بالشعور بالمسئولية الاجتماعية .

ثلاث مرات وليس أربعاً

إسطنبول - ٢٩ يوليو ١٩٨٠

كان الجو شديد القيظ في اسطنبول المشبعة ببخار الماء ونحن نصارع معركة المرور ، مستخدمين السيارة ، ثم أقدامنا التي تسلل لها الألم ، ونحن نتجه لزيارة بعض الأصدقاء الذين تعذر علينا الاتصال بهم هاتفيًّا .

ضغطت حماتي زكية على جرس الباب مرة ، وأخرى - وبعد برهة قصيرة - ضغطت للمرة الثالثة ، ولكن ما من مجيب . واستدارت لتبتعد بهدوء بعد أن منعتني من الضغط على الجرس للمرة الرابعة لأن هذا لا يجوز .

وكانت حماتي وهي تتصرف على هذا النحو لا تكاد تدرك أنها تقتدي بإحدى سنن النبي (ﷺ) ، وإنما كانت تتصرف على النحو الذي جرى عليه العرف في العالم الإسلامي . ومع ذلك يمكن اسناد تصرفها هذا إلى حادثة تضمنتها قواعد السلوك في الكتاب الرابع والسبعين للبخاري ، والذي يضم مجموعة الأحاديث المشهورة باسم « **صحيح البخاري** » .

إذ أنه طبقاً للحديث رقم ٢٦١ الذي رواه مالك بن أنس أن النبي محمد (ﷺ) عندما كان يستأذن للدخول لم يكن يفصح عن رغبته هذه بإلقاء التحية أكثر من ثلاث مرات . فإذا ما ظل الباب مغلقاً فإنه كان يستنتج بحق أنه إما أن يكون أهل الدار غائبين ، وإما أنهم عازفون عن استقباله .

وهذا مثل واحد فقط من الأمثلة العديدة الدالة على كيفية تحول سُنّة نبى الإسلام (ﷺ) إلى أسلوب حياة أمة بأسرها . وكنت كلما توغلت فى دراسة مجموعة الأحاديث الضخمة ، وخاصة تلك التى جمعها وحققها البخارى ومسلم ، تفتحت عيناى على حقائق سوسيولوجية جديدة ، واكتشفت ما للإسلام من رصيد ثقافى .

الطريق إلى مكة

بون - ١٨ أغسطس ١٩٨٠

لقد اقتربنا بما فيه الكفاية من نهاية القرن العشرين لنتأكد من أنه ما من شخص آخر استطاع خلال المائة عام الأخيرة أن يبز النمساوى محمد أسد (الذى كان من قبل يدعى ليبولد فايس ، وهو منحدر من أصل يهودى) فى إسهامه العظيم فى شرح ونشر الإسلام فى الغرب .

ولا يعزى تأثيره القوى إلى ما يحظى به علمه وحكمته الغزيران من احترام فحسب ، وإنما أيضاً إلى الصفات الخلقية لهذا المسلم الجسور والتى حظيت بتقدير مماثل .

ولد محمد أسد عام ١٩٠٠ م ، وعاش حياةً حافلة بالمغامرات أتاحت له فرصاً عديدة لإظهار مواهبه المتعددة أيضاً .

وعندما بلغ أسد الرابعة عشرة من عمره فرّ من منزله ليشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وتمكن من إقناع الجيش النمساوى بأن يضمه إليه ، وفى التاسعة عشرة من عمره عمل مساعداً للدكتور مورناو ، ولماكس راينهارت من بعده . والرجلان من عمالقة صناعة السينما فى أوائل عهدها .

وفى الثانية والعشرين من عمره أصبح مراسلاً لأشهر الجرائد الألمانية « فرانكفورتر تسايتونج » فى منطقة الشرق الأدنى . وبعد اعتناقه الإسلام عام ١٩٢٦ أصبح صديقا للملك ابن سعود ومحمد إقبال .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وجد نفسه فى الهند . وعندما أنشئت دولة باكستان تولى منصب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى فى وزارة خارجية هذه الدولة حديثة النشأة ، والتى أرسلت به إلى نيويورك بعد ذلك مندوباً دائماً لها فى الأمم المتحدة .

وهذه ليست إلا بعض الأدوار المهمة التى قام بها فى حياته الجديرة بالإعجاب ، والتى امتزج فيها الفكر بالعمل ، والفلسفة بالدين ، والفنون بالسياسة فى صيغة إسلامية حقيقية . وهكذا يعد أسد رجل النهضة على النمط الإسلامى .

وتعتبر كل كتبه الآن من الكلاسيكيات الأصيلة ، حيث أسهم كتابه « الإسلام فى مفترق الطرق » (١٩٣٤) فى أن يعيد للعالم الإسلامى - الذى كان فقد ثقته بنفسه أمام غزو التفوق التكنولوجى الغربى - يعيد إليه كرامته وثقته بثقافته . فلقد كتب فى دلهى منذ أكثر من ٥٠ عاما ببعد نظر مدهش متنبئاً بما يلى : « ويبدو أن تنامى القلاقل الاجتماعية والاقتصادية ، وربما أيضا حدوث سلسلة من الحروب العالمية ذات أبعاد لا قبل للمرء بمعرفة حدودها مسبقاً ، وما يخلقه العلم من ضروب للرعب سوف تدفع بالحضارة الغربية المادية المغرورة بشكل مروع إلى الإغراق فى السخف على نحو يضطر شعوبها إلى أن تبحث من جديد فى استكانة ودأب عن الحقائق الروحية ، وهنا يمكن للتبشير بالإسلام أن يجد قبولاً .

وقد تناول محمد أسد فى سيرته الذاتية الرائعة « الطريق إلى مكة » ١٩٥٤ ، عملية اعتناقه للإسلام .

وفى مؤلفه « مبادىء الدولة والحكومة فى الإسلام » (١٩٦١) ، اعترف محمد أسد بلا تردد بأنه لم تقم دولة إسلامية واحدة حقيقية بعد أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، **الخلفاء** الأربعة الأول الذين حكموا من

المدينة . كما ذهب إلى أن القرآن والسُنّة لم يتضمنا سوى مبادىء قليلة محددة لتنظيم الدولة والمجتمع الإسلاميين .

وقد توصل فى مؤلفه إلى نتائج بالغة الأهمية منها :

١ - أن مادة الفقه الإسلامى فى تطوره خلال ثمانية قرون قد أصبحت أغزر بكثير من أصلها الملزم (الشريعة القرآنية) .

٢ - أنه فى إطار الدستور (والتشريع) الذى يعكس هذا الأصل الملزم ، تكتسب الدولة الإسلامية عدة سمات شديدة الشبه بالديموقراطية البرلمانية وحكم القانون ، بما فى ذلك مؤسستا الرئاسة والمحكمة العليا الأمريكيتان .

٣ - ومن ثم فإن الصحوة الإسلامية لا تتطلب بالضرورة إعادة الحكم الدينى الإسلامى من جديد .

وفى المدينة المنورة أنجز أسد ، على مدى عقود عديدة ، أروع أعماله ، فترجم وعلق على الجزء الأول من مجموعة **أحاديث** البخارى « صحيح البخارى ، سنوات الإسلام الأولى » ، (١٩٣٨) ، وكذلك ترجم القرآن كله « رسالة القرآن » ، (١٩٨٠) .

إن هذه الترجمة العبقرية إلى الإنجليزية بلغة شكسبير تمثل حدثاً أدبيًا وعلميًا وتاريخيًا مهمًا . ويدين أسد فى حواشيه على القرآن إلى المصلح المصرى الكبير الشيخ محمد عبده « **رسالة التوحيد** » . حيث نسج أسد على منواله فى شروحه متبعاً فى ذلك أكثر الطرق عقلانية وأقصرها إلى لب الموضوع ، ومطبقاً فى ذلك أحدث ما تم التوصل إليه من اكتشافات فى علم اللغة والعلوم الطبيعية ، ومتجنباً إظهار التوقير المزيف للممارسات المخادعة والأساطير التى حجبت الجوهر الحقيقى للإسلام إلى حد حظر التناول العقلانى لقضاياه .

إن هذا الرجل العظيم ، فى دفاعه عن مقوماته الروحية والأخلاقية ، بدأ بعد تجاوزه سن الثمانين فى الانتقال من المدينة إلى طنجة ، ومن هناك إلى لشبونة وأسبانيا ، ليؤكد للجميع أن محمد أسد لا يزال صادقاً مع نفسه : ناقداً ويقظاً ومفعماً بالحيوية .

الخلاص في الإسلام

بون - ٢٥ أغسطس ١٩٨٠

إن فكرة إمكانية شراء الغفران ، في مقابل التضحية برجل أو امرأة أو حيوان ، تبدو موغلة في القدم ومغرقة في الوثنية . وهي على وجه القطع مفهوم سابق على الاعتراف بالله « الرحمن الرحيم » . وعندما برر الدوجماطيون من المسيحيين صلب المسيح « كتضحية ضرورية من خلال الموت » فإنهم كانوا يحاجون بنفس منطق العقيدة الوثنية عن التضحية .

ويقولون إنه كان على الرب (!) أن يضحي بنفسه من أجل أن يكون قادراً على العفو (!) ؟ واسمحوا لي بأن أتساءل : من ذا الذي يمكنه أن يلزم الرب بأن يخضع لهذه الضرورة ، وأن يفرض على نفسه هذا الشرط ؟ - ألا يشكّل هذا النمط من التفكير تجديفاً صارخاً ؟

إن الصورة التي قدمها القرآن لنا عن الله (عز وجل) - على نسق المفهوم المسيحي - في **سورة** الفاتحة وآية الكرسي (سورة البقرة : ٢٥٥) ، تختلف كثيراً عن تصويره على شاكلة البشر ، وتسمو بكثير عن المفهوم المسيحي الدارج عن الله . إن أهم ما يلاحظ في القرآن أنه لا يعترف بوجود وساطة في العلاقة بين الفرد وربه ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢٥٥) .

فلا يجوز لأحد أن يتدخل فى هذه العلاقة سواء أكان **خليفة** أم **إماماً** أم قديساً على نحو المفهوم المسيحى للطرف الثالث « الوسيط » .

وبعبارة أخرى فإنه منذ القرن السابع الميلادى تحرر المؤمن المسلم من ممارسة طقوس القربان وأصبح على علاقة وجود دائم ومباشر مع الله .

وهى علاقة أكثر ملاءمة للرجل المعاصر والرجل الراشد .

خاتم الأنبياء

بون - ٢٧ أغسطس ١٩٨٠

كان لا بد من أن يصل نضوج الفكر الإنسانى فى تطوره إلى مفهوم الله الواحد الأحد . حيث كان من المتعين على عقيدة تعدد الآلهة أن تتحول إلى خلق تدرج هرمى من الآلهة ، وذلك على الأقل من خلال وضع المنتصر لآلهة قبيلته فى مرتبة أرقى من آلهة المقهورين . وشكل هذا مرحلة حاسمة فى عملية التطور نحو الاعتراف بوجود مرتبة أسمى بين الآلهة .

وكان مما يشوب نجاح اليهود فى الوصول إلى عقيدة التوحيد هو استمرارهم فى النظر إلى « يَهْوَه » كإلَه قَبَلى .

وقد صحح يسوع هذا المفهوم الخاطىء ، بيد أن رسالة ابن الله هذا انحرفت عندما فسر أتباعه علاقته بالله تفسيراً حرفيًّا .

وكان لا بد من مجىء نبى آخر ليبشر بوجود الله العزيز الواحد الأحد للبشر أجمعين . وهذا هو الإنجاز النهائى للإسلام الذى يمثل إسهاماً هائلاً فى التطور الروحى للبشرية . والواقع أنه ليس هناك من مجال لإضافة المزيد للكمال ولا للحقيقة ، وهو ما جعل محمداً « خاتم الأنبياء أجمعين » .

إسلام حسب الطلب ؟

بون - ٢ سبتمبر ١٩٨٠

حتى من كان يؤمن من قبل بمذهب اللاأدرية ويؤيد لودفيج فيتجنشتين ، يقع فى إغراء استخدام أسلوب انتقائى فى النظر للإسلام . فقد يحاول المرء أن يفرق فى القرآن بين النصوص المتعلقة بأصول الدين ، الصالحة للأبد ، وبين قواعد سلوك الحياة اليومية التى عفا عليها الزمن ، ويدعى خطأ أنه على المرء أن يكون معقولاً وأن يتجنب المبالغة ، ومن ثم يغفل من الكتاب الجوانب التى تجاوزها العصر باعتبارها قد سقطت بمضى المدة .

فماذا عن الصلاة خمس مرات فى اليوم ؟ والصوم شهراً ؟ والامتناع عن تعاطى الكحول وتقاضى فوائد الودائع البنكية ؟ إنهم يدعون أنها أمور لا بأس بها ، ولكنها ببساطة ليست عملية بالنسبة للمجتمع التكنولوجى المعاصر .

وهذا الموقف الخاطىء يعنى أن المرء قد بدأ فى تشذيب القرآن ليختار منه حسب الطلب ، منتقيا منه ما يرغب التسليم فيه لمشيئة الله .

إن المعروف عن المهتدين للإسلام تمتعهم بحاسة اهتداء للطريق المستقيم هادئة ومطمئنة ، ومن ثم يبدون فى تناغم بهيج مع أنفسهم وبيئتهم .

ولكن كيف يتسنى للمرء أن يَخْبُرَ ما يستطيع الإسلام أن يفعله ما لم يكن تسليمه لله كاملاً ؟

لم أملك إلا أن أكون مسلما

بون - ١١ سبتمبر ١٩٨٠

حاولت منذ فترة من الوقت وحتى الآن ، أن أضع على الورق بطريقة منهجية ، مستبسلاً من أجل المزيد من التحديد والإيجاز ، كل الحقائق الفلسفية التى يمكن - من وجهة نظرى - إثباتها دون أدنى شك منطقى . وكانت نتيجة نضال العمر هذا ضد فرص المرء المحدودة فى الوصول إلى الحقيقة ، هى هدية غير تقليدية لابنى الكسندر(١) فى عيد ميلاده .

ولقد وقفت خلال هذا الجهد على أن الموقف الفكرى النموذجى لمعتنق « اللاأدرية » يفتقر إلى الذكاء ، وأن الإنسان لا يملك ببساطة الهروب من اتخاذ قرار بالإيمان ، وأن خلق الكائنات التى توجد حولنا هو أمر واضح ، وأنه مما لا شك فيه أن هناك أعظم انسجام ممكن بين الإسلام والحقيقة الكلية .

وهكذا أدركت ، وقد هزتنى الحقيقة ، أننى قد أصبحت فى خطوة وراء الأخرى بالرغم منى ودون أن كون واعياً بذلك ، مسلماً بمشاعرى وفكرى .

ولم تبق سوى خطوة واحدة أخيرة ، وهى أن أعلن إسلامى رسميًا .

---

(١) وهذا العمل متوافر حالياً كمطبوع من ١٦ صفحة فقط : « نهج فلسفى لتناول الإسلام » (بطبعتيه بالألمانية ١٩٨١ و ١٩٨٣ ، وطبعة انجليزية ١٩٨٣) . (المترجم)

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

بون - ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠

نطقت بالشهادتين فى المركز الإسلامى بكولونيا « **لا إله إلا الله محمد رسول الله** » ، واخترت لنفسى من بين الأسماء الإسلامية اسم مراد فريد .

وأصبحت منذ اليوم مسلماً .

وهكذا بلغت مرادى .

لماذا لا يوجد رباعى مقدس ؟

بون - ٢٦ سبتمبر ١٩٨٠

إذا كان من الممكن أن يتصور المرء وجود ثالوث مقدس ، فلماذا لا يمكن تصور وجود رباعي إلهى مقدس ؟ وإذا كانت نظرية « المولود الأول » أى نظرية « الفيض » فى خلق العالم لها طبيعة مماثلة لنظرية العلة الأولى ، فلماذا لا يشارك « فيض ثان » فى هذه الطبيعة ؟

وهل كان لفكرة الثالوث المقدس أن تتطور إن لم يكن آباء الكنيسة قد جهلوا الفلاسفة الذين جاءوا بعد عصر أفلاطون من أمثال بلوتينوس وبروكلوس الذى ميز فى كتابه (Liber de Causis) بين « الوجود » (الآب ؟) و « السبب » (الروح القدس ؟) و « الروح » (الابن ؟) .. إن رباعية « الفيض » تعتبر روحية غنوسطية[1] بقدر ما هى مسيحية .

---

(١) الغنوسطية هى الإيمان بأن المادة شر وأن الخلاص يأتى من المعرفة الروحية . (المترجم)

دراويش قونية الدّوارون

بون - ٩ أكتوبر ١٩٨٠

في قاعة بيتهوفن في بون تم تقديم « دراويش قونية الدوّارون » كما لو كانوا فرقة رقص استعراضتي ، ومن ثم توقع الكثيرون من بين النظارة أن يشهدوا دوراناً انتشائيًّا ، إن لم يكن عربيداً ، كذلك الذى كان يقوم به الراقصون في احتفالات ديونيسيوس الإغريقية بدلاً من هذا العرض الروحاني المستغرق الذى شهدوه. وكان العارضون - وهم حضريون منضبطون ونسّاك متزوجون - على النقيض من ذلك تماماً ، حيث كانوا يمثلون آخر ما وصل إليه الشعر الدينى الكلاسيكى والموسيقى في تركيا . وقد بدأ العرض بأنشودة مديح فارسية من نظم جلال الدين الرومى ، قدمها شيخ (منشد حافظ) ضرير يدعى كانى كاراكا بصوت مهيب خفيض وعميق ومبتهل .

وكان الدراويش يدخلون إلى خشبة المسرح دونما جلبة بأرديتهم الحافلة بالرموز . فقلنسواتهم المخروطية الشكل تمثل شواهد القبور ، وقفاطينهم السوداء توحى بظلمة القبر ، أما ما يرتدونه تحتها من سترات وسراويل بيضاء فكانت تذكر بالأكفان .

وفى أول الأمر طاف الدراويش ثلاث مرات بالمكان فى خطوات غير منتظمة ومتثاقلة ، وكانوا كلما اقتربوا من شيخهم فى مقامه

يستديرون ليتبادل كل منهم الانحناءات مع الآخر ، ويزدادون انحناء عندما يقبّلون يد شيخهم الذى كان ينحنى قليلا بدوره ليقبّل قلنسواتهم .

وحينئذ فقط يستديرون ، وقد عقدوا أذرعهم بشكل متقاطع ووضعوا أيديهم على أكتافهم فى أول الأمر . ثم سرعان ما يفردون أذرعهم ، رافعين راحاتهم اليمنى نحو السماء وخافضين اليسرى نحو الأرض (للدلالة على أن كل شىء هو من عند الله من أعلى ، وأن كل ما يتلقاه الدرويش يعطيه لصاحبه عن طيب خاطر) . ثم يأخذ الدراويش فى الدوران بنفس الإيقاع الهادىء المريح سواء فى نفس أماكنهم أو وهم يتحركون .

ويمكن لناقد الباليه أن يصف حركتهم بأنها دورات إلى اليسار ، نحو الداخل تتم فى أربع عدات حيث يستغرق تغيير الخطوة ثلاثة ويستكمل الدوران على الرجل اليمنى العدّة الرابعة .

ويستمر الدراويش على هذا المنوال لمدة تتراوح ما بين ٢٠ ـ ٢٥ دقيقة بشكل لا يصدق ، دون أن يتفصد منهم العرق ، أو يبدو عليهم الإعياء ، أو تضطرب أنفاسهم . لقد وُصِفَ هؤلاء الصوفية تارة بأنهم فراشات بيضاء ، وتارة أخرى بأنهم كواكب تدور حول مركز روحانى .

ولا غرو ، إذ من ذا الذى يستطيع أن يراهم دون أن يأسره دورانهم الهادىء فى موجات منتظمة ؟ إن المرء ليوشك الآن على أن يقف على طريقة جسمانية بالغة الرقى للوصول إلى الوجد الدينى باسم الإسلام .

إما شيخهم المسن ، والذى يدعى سلمان توزون ، فكان ، بسبب مكانته الرفيعة ، يتمتع بحضور خارق على المسرح . فكانت خطواته رشيقة وبطيئة كما لو كان فى غمرة النشوة ، وهو ما كان له تأثير عظيم

على المشاهدين . بعد أن تحقق النظارة لآخر رجل أو امرأة منهم أن هذا ليس هو المشهد المعتاد لراقص مسن يرفض الاعتزال .

إن ما شاهدناه كان ضرباً من النجومية (الكاريزما) لا يعرف الشيخوخة ونابعاً عن الزهد .

مناعة الإسلام

بون - ٢٦ فبراير ١٩٨١

عندما يقارن المسلمون بين المخاطر التى يشكّلها العالم الشيوعى على الإسلام ، والمخاطر التى يشكّلها الغرب عليه ، فإن العديدين منهم يخشون من التدمير الروحى الغربى أكثر من خشيتهم من أن تسحقهم الشيوعية ماديًّا . ولقد نجم رد الفعل هذا نتيجة لملاحظة صائبة لعدم نجاح الدعاية السوفيتية الملحدة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الإسلامية فى آسيا ، أو الدبابات السوفيتية فى أفغانستان ، فى استئصال شأفة الإسلام حتى الآن .

فمما لا شك فيه أنه لا يمكن إلحاق ضرر بالغ بالإسلام بإلقاء القبض على المشايخ ورجال الدين ، وحظر ممارسة الطقوس الدينية ، ومصادرة الكتب المقدسة . فهناك آلاف من الحفظة السوفيت الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب .

والمسلمون يستطيعون الصلاة فرادى إذا ما اقتضى الأمر ذلك ، فى أى موضع طاهر وفى أى مكان . وفى هذا يكمن أحد أسرار قدرة الإسلام على المقاومة على امتداد فترة طويلة من الحكم الشمولى . وهو ما يفسر الحقيقة المذهلة لبقاء ملايين المسلمين الصينيين متمسكين بالإسلام ، على الرغم من حكم ماوتسى تونج وقيام الثورة الثقافية ، وهو ما يفسر أيضاً بقاء بضع مئات من العائلات الأسبانية المسلمة ، على إسلامها ليس بعد ضياع الأندلس فحسب ، وإنما فى ظل حكم فرانشيسكو فرانكو أيضاً .

ومن المؤسف أن الإسلام ليس منيعاً بنفس الدرجة فى مواجهة عمل تبشيرى أقل علانية ومنهجية ، أى النخر الخبيث الذى ينال من قوته ليس بواسطة جهد مسيحى خاص ، وإنما بواسطة التأثير الماكر والمستشرى لحضارة التكنولوجيا الغربية .

ذلك أن للمجتمع الصناعى الغربى تأثيراً سامًّا على كافة الأديان ، بما فى ذلك دينه هو نفسه ، من خلال نشره لقيم مؤسسة على فروض مادية محضة . إن الفكر النفعى ، وتحقيق أقصى ربح ، وعبادة زيادة الإنتاج بشكل مستمر ، وأسطورة التقدم اللانهائى ، وغطرسة علماء العلوم الطبيعية الذين تحولوا إلى فلاسفة ، واستشراء مذهب « اللاأدرية » وتحييد القيم الأخلاقية لدى المتعلمين كل ذلك يحدد التوجه الغربى الكامل نحو إضفاء طابع عقلانى على كل مظاهر الحياة مما يشكل عدواناً غاشماً على الأديان .

إن المجتمع التكنوقراطى الذى نعيش فيه فى الغرب ، بعبادته للفرد وتأسيس أخلاقياته على مبدأ « **دعه يعمل ، دعه يمر** » ، يواجه فى الحقيقة خطر التدمير الشامل للأسس الأخلاقية التى ينمو عليها هذا المجتمع ذاته ، أى القيم وأنماط السلوك المتجذرة فى إيمان أجدادنا بالله .

وتعد تركيا مثالاً صارخاً على هذه العملية من منظور تجريدها من طابعها الإسلامى ، حيث كان أتاتورك ينظر إلى دين مواطنيه باعتباره عقبة فى سبيل التحديث بسبب التوجه الرجعى المزعوم للإسلام . لقد تمّ دفن الإسلام فى المدن التركية فى ظل عبادة التقدم والرخاء والحل العلمى للمشاكل . ويصدق هذا على الأقل بالنسبة للمدعوين بالمتعلمين من أفراد الطبقتين العليا والوسطى فى المناطق الحضرية ، حيث يظهرون أقرب إلى عبادة العلم من عبادة خالقهم .

ومع ذلك فإن بعض هذا النتاج المستنير لتركيا العلمانية مغرمون

بترديد دعاء : « حقًّا ، إنى لا أمارس الشعائر الإسلامية ، ولكنى مؤمن بالله من أعماق قلبى . إن إيمانى الطبيعى هذا أفضل من الصلاة خمس مرات يوميًّا » .

ومن الشائع أن تسمع هذه العبارات بحذافيرها من بعض « المسلمين » الذين تقتصر معرفتهم الغامضة بدين آبائهم على بعض الجوانب الغريبة والهامشية المنقولة إليهم من شفاه جداتهم .

وما لم يكن أتاتورك قد دفع بتعليم الدين إلى تحت الأرض ، لكان من المحتمل أن يفهم المتعلمون الأتراك بصورة أفضل أنه ، ولا حتى النزعة الصوفية الباطنية الإسلامية ، يمكنها أن تتصور قط أن الدين هو قضية قلب فقط .

ولكان من المحتمل أن يعترف هؤلاء المسلمون « المحدثون » بأن الإسلام - التسليم لله - يعنى أيضاً ضمناً الالتزام بصراطه ، وتعليماته وقوانينه .

وعلى ضوء هذه الخلفية يبدو من المثير للسخرية أن وزارة الشئون الدينية التركية تقوم فى أيامنا هذه بمحاولات محمومة للحد من الآثار السلبية لتجاهل الإسلام لفترة طويلة ، وهو ما عرقل بوضوح سعى الدولة لتأكيد شخصيتها فى العصر الحديث . حيث يتم إرسال الأئمة والمدرسين - الذين تقوم الدولة بتدريبهم ودفع رواتبهم - إلى الخارج حتى ألمانيا ، وقد أنيطت بهم المهمة الصعبة والتى جاءت متأخرة عن موعدها للسيطرة على الشبكة الواسعة غير الرسمية للمدارس الدينية ، والمساجد ، والجماعات الصوفية التى تزدهر بين العمال الأتراك ، كرد فعل لسياسة أتاتورك فى تطبيق العلمانية .

القانون الدولى الإسلامى

بون - ١٢ مارس ١٩٨١

ينطوى مصطلح « القانون الدولي » على معنى وجود اعتراف عالمى به . ومع ذلك فإن فاعلية قانون الأمم تتوقف دائماً على مدى احترامه ومراعاته على المستوى الوطنى .

وفى العصر الحديث كان علينا أن ندرك مرة أخرى إمكان وجود قانون دولى خاص إقليمى ، حتى لو كان هذا يبدو منطوياً على مفهوم متناقض .

وفى الواقع فإن ظاهرة الإقليمية فى قانون الأمم لا تقتصر على أمريكا اللاتينية والعالم الشيوعى الذى توجت فيه فكرة الأممية البروليتارية المشئومة بصدور ما يسمى بمبدأ بريجينيف . ولم يكن العالم الإسلامى حتى نهاية حرب القرم قد اشترك فى وضع القانون الدولى بين الدول المسيحية .

ومن حيث المبدأ ، وحتى يومنا هذا لا يمكن أن يكون الامر غير ذلك لأن الشريعة الإسلامية لا تعترف بفكرة القانون « الطبيعى » وإمكانية عقد معاهدات سلام بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وبالعكس ، فإن القانون الإسلامى ، بدلاً من إثرائه الفكرة الرومانسية عن « عائلة الأمم » ، فإنه شدد على التفرقة بين من هم فى جماعة

المسلمين (دار الإسلام) وغير المسلمين الخارجين على الجماعة (دار الحرب) .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نظرية القانون الإسلامى قد اعتبرت أن كافة المسلمين تنتظمهم وحدة واحدة (الأمة) ، ولهذا السبب ترفض فكرة تعدد الدول . وترتيباً على ذلك فإن القانون الإسلامى (الشريعة) لا يزال يرفض حتى يومنا هذا معاملة العلاقات بين المجتمعات الإسلامية مثل العلاقات العادية بين الدول .

وكما أوضح هانز كروس فى كتابه "Islamische Völkerrechtslehre 2nd ed.," فإن القانون الإسلامى استطاع ، على الرغم من ذلك ، مسايرة حقائق الصراع الدولى القاسية .

فأولاً : قام المتبحرون المسلمون - مثلما يفعل زملاؤهم فى الغرب - بتدريس وجوب احترام العقود والمعاهدات بغض النظر عن ديانة الطرف الآخر . وليس هناك فرق من الناحية العملية فى أن رجال القانون المسلمين لا يؤسسون مبدأ قدسية المعاهدات هذا على قواعد القانون الدولى الطبيعى أو العرفى ، وإنما يرجعونه إلى الأمر الإلهى الوارد فى القرآن . والمهم فى هذا هو أن المسلمين ، فى مراعاتهم لقانونهم الداخلى ، يلتزمون بمراعاة المعاهدات الدولية (والتى يحترمها غير المسلمين مراعاةً منهم للقانون الدولى) .

وثانياً : نجح الفقهاء المسلمون فى ابتداع حيل قانونية ماهرة يمكنهم بواسطتها التوفيق بين الحقائق القاسية وبين النظرية القانونية رفيعة المستوى . وهكذا أمكنهم تبرير « ما ليس مسموحاً به » من إقامة علاقات سليمة دائمة بين الدول الإسلامية وغير الإسلامية ، على أساس هدنة مسموح بها مطولة ضمنيًّا .

فضيحة مصمم أزياء شهير

اسطنبول - أول أغسطس عام ١٩٨١

اليوم هو **عيد الفطر** وهو من أكبر الأعياد الإسلامية ، وقد قادتنى الصدفة فيه إلى رؤية ثلاثة وجوه مختلفة للإسلام .

ففى الصباح الباكر شاركت فى الصلوات الطويلة التى تفصل ما بين نهاية صوم رمضان ، واحتفالات « عيد الحلويات والكحك » التى تستمر لمدة ثلاثة أيام .

وكان المسجد فى « تسيفيكى » غاصًّا بالناس ، وقد أحضر كثيرون من المسلمين سجادات الصلاة الخاصة بهم ، ولكنى ، مثل معظم الآخرين الذين صلوا فى الفناء الواقع أمام المسجد ، قمت بأداء صلاتى على نسخة من الطبعة الصباحية لصحيفة اليوم .

وفى وقت الظهيرة زرنا مسجد السلطان أيوب الواقع على الشط العلوى للقرن الذهبى . ومنذ أن أقيم هذا البناء على قبر أيوب « حامل لواء محمد » ، والذى تم اكتشافه بأعجوبة أثناء الحصار التركى عام ١٤٥٣ ، والأساطير والروايات تحيط بهذا المسجد وموقعه الخلاّب .

ويعد هذا المكان أقرب شيء إلى المزارات المقدسة عند المسيحيين . وأى شيء آخر يمكنني أن أقوله عن عادة الشرب من أربع نافورات قائمة عند الأركان الأربعة لسور يدور حول شجرة تقع بالقرب من المسجد ، بعد فتح الصنابير كلها أولاً ثم إغلاقها الواحد بعد الآخر ؟

وهنا يقوم العشاق ، والآباء ، والطلبة ، والجنود - وكل من تراوده الأمانى العريضة - بإطعام ١٠٠١ حمامة بكيلو جرام من الذرة ، محتفظين ببعض الحبوب لبذرها بعد أن تتحقق الأمانى .

ومن السوق القريبة يحضر زوار آخرون بعض حيوانات للتضحية بها فى سبيل الله ، ليسلموها إلى مطبخ للفقراء المعدمين ملحق بمسجد السلطان أيوب . ومن الطبيعى ألا يأخذ الحشد المتجمع فى مسجد السلطان أيوب طابعه المميز ما لم يتجمع عدد من الصبية يرتدون زى الجنرالات والأدميرالات والأمراء ، يتأبهون للختان فى اليوم التالى (وبهذه الطريقة يجرى الاحتفال بهؤلاء الصبية كما يحتفل بشقيقاتهم عندما يتزوجن) .

ومن المؤكد أن الوهابيين كانوا سيضعون حدًّا حاسماً لهذه المظاهر الفولكولورية والخرافية للإسلام الشعبى ، حيث لا يقبلون بأى صخب تجارى ، أو نشاط استثمارى بالقرب من المسجد النبوى حرصاً على مقتضيات اللياقة ، ولو جاءت على حساب اللون المحلى والتسلية الشعبية .

وفى المساء حضرنا عرضاً للأزياء ، رأيت فيه ثوباً مصنوعاً من الكريب الحرير الأسود ، وكان من أكثر الأزياء جاذبية ، إلا أنه فى الواقع كان « فضيحة » حيث شُكل تصميمه الفضى من آيات قرآنية كتبت بالعربية بطريقة غريبة . وقد انتزع جمال النقوش تصفيقاً بريئاً حاداً من أناس كانوا سيروعون لو أنهم استطاعوا فهم الكتابة . فخلال جيل واحد بعد عهد أتاتورك أصبح الخط العربى ، مثله مثل الحروف الصينية ، غريباً على الناس الذين اعتادوا أن يقرأوا بالعربية وأن يكتبوا لغتهم بالحروف العربية .

هل هذا هو ما يقصد « بالتقدم » ؟

ابن خلدون وليس ماركس

بون - ٢٨ أبريل ١٩٨٢

قد يحسن بالذين لا يزالون يعتقدون أن الإسلام بطبيعته يعوق التقدم أن يقرأوا « المقدمة » ، أو الكتاب التمهيدى للمؤلف الشامخ فى تاريخ العالم ابن خلدون كتاب « العبر »[١] المكتوب فى عام ١٣٧٧ (والذى ترجمه إلى الإنجليزية فرانز روزنتال ، برنستون ١٩٦٧) . وإذا لم يكن ابن خلدون ، كبير القضاة فى القاهرة ، قد كتب أكثر من هذه المقدمة الواقعة فى ٤٠٠ صفحة لكفاه ذلك لأن يخلد فى تاريخ الفكر . وهكذا أصبح ابن خلدون قبل كارل ماركس ، وماكس فيبر بـ ٥٠٠ عام ، الأب الحقيقى لكل من علم الاجتماع ، وفلسفة التاريخ ، مطالباً بأن يكون التاريخ « أكثر من مجرد سرد معلومات » .

وكانت محاولته هى أول محاولة معروفة لاكتشاف القوانين التى تحكم دورات التاريخ ، وصعود وسقوط الحضارات ، ولكتابة التاريخ بعد إخضاع المواد المستقاة من المصادر التقليدية لعملية تمحيص محايد ، وناقد إن لم يكن مدققاً . وأفضى هذا المنهج بابن خلدون إلى الوقوف على التفاعل القائم بين المناخ والسلوك ، وبين التخصص الحضرى (العمران) والسمات الثقافية .

---

(١) الاسم الكامل للكتاب هو : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو ٧ مجلدات . (المترجم)

وكان هو ، وليس كارل ماركس ، الذى كتب (فى عام ١٣٧٧) أن « الربح هو القيمة الناتجة عن العمل الإنسانى » ، وأن « اختلاف أحوال الناس ليس إلا نتيجة لاختلاف الوسائل التى يدبرون بها أمر معاشهم »

وقبل كتاب ''Buddenbrooks'' لتوماس مان بزمن طويل ، كان ابن خلدون قد أعلن أن « نهاية الحسب فى العقب الواحد أربعة آباء » .

وأعلن قبل فردريك نيتشه بقرون أنه إذا كانت الأمة وحشية كان ملكها أوسع .

وسبق ابن خلدون فردريك هيجل فى ملاحظته « أن للدول أعماراً طبيعية كما للأشخاص » .

كما سبق جان جاك روسو فى تقرير أن العلاقة بين الحكام والمحكومين تؤسس على عقد اجتماعى (يعقد بالمصافحة وقسم الولاء) .

وخلص ابن خلدون قبل النظرية الحديثة فى الشرعية بزمن طويل (وخلافاً لرأى طائفة الشيعة) إلى « أن الذى يستطيع أن يعالج أمور الأمة (مثل الخليفة) هو فقط القادر على بسط سيادته عليها » . كما سبق دافيد هيوم عندما أكد أن « الطريقة التى تمارس بها الأسباب تأثيرها على الأشياء مازالت مجهولة » .

وقبل كارل فون كلاوز فتز بقرون علمنا ابن خلدون أنه « لا وثوق فى الحرب بالظفر » ، وذلك لأن الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق » .

وأرجع ، مثل فردريك شيللر وعمانويل كانط ، الأحكام الجمالية على الأشياء المنظورة إلى تصنيفات فلسفية دون أن يغفل تفاعل الآليات

السيكولوجية (ومن قبيل ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يتصور الشكل الإنسانى إلا متناسقاً إلى حد الكمال) .

ولقد شدنى بشكل خاص منهج ابن خلدون فى علم الوجود والصوفية . فلقد أنكر ، كتلميذ نجيب للأشعرى ، أية إمكانية مهما كانت لوجود أية تجليات ميتافيزيقية مستمدة من إدراك الإنسان الحسى وعقله ، وفى هذا يقول « إن العقل هو فى الواقع ميزان سليم ... ومع ذلك فإنه ينبغى ألا يستخدم العقل لوزن بعض الأمور مثل وحدانية الله ، والعالم الآخر ، وصدق النبوة ، والصفة الحقيقية للخصائص الإلهية ... وإن المرء ليقارن ذلك بالرجل الذى يرغب فى وزن الجبال بميزان الذهب » .

هل يمكن للمرء أن يقول أفضل من ذلك ؟

وفى تناوله للصوفية ، أعرب ابن خلدون عن شكه فى أن الصوفيين يسعون قبل موتهم بطريقة مصطنعة إلى أن يَخْبِروا بما سوف يحدث لهم بعد الموت .. وكان حكمه فى ذلك صارماً حيث قضى بأن « أى معرفة أو نشاط يفوقان طاقة البشر لا يتأتيان للصوفيين إلا من قبيل الصدفة » .

واكتشف ابن خلدون بين أتباع الطرق الصوفية « أغبياء وحمقى هم أقرب إلى المجانين منهم إلى العاقلين » . وعبر عن اعتقاده بأن « كل الطرق لإدراك ما هو فوق طاقة الإنسان لا دليل عليها ولا جدوى منها » .

تلك آراء قاسية ولكنها حقيقية .

ولكن ينبغى لنا ألا ننسى أن ابن خلدون لم يكن عبقريًا فذًا ولا ضالاً ، ولكنه كان نتاجاً للثقافة الإسلامية فى أروع صورها .

السُنّة فى مواجهة الشيعة

بون - ١٩ مايو ١٩٨٢

تلقيت من السفارة الإيرانية ترجمة ألمانية للدستور الجديد للجمهورية الإسلامية ، وكما هو شأنها فى كل اتصالاتها (مكاتباتها) الرسمية ، استبدلت السفارة الصيغة التقليدية المهذبة : « وتنتهز هذه المناسبة لتعرب عن فائق تقديرها .. » ، بصيغة : « وتنتهز هذه المناسبة لتعرب عن أمنياتها الثورية فى أن ينتصر المقهورون على قاهريهم » . ويعتبر الدستور الإيرانى نفسه كأساس لاستمرار الثورة الإسلامية فى الداخل والخارج ، وكتفويض لإقامة مجتمع واحد يؤمن بدين واحد .

لم يسمع العالم بمثل هذه الأشياء منذ صدور البيان الشيوعى لأول مرة فى عام ١٨٤٨ .

وترتب المادة ١٥٤ (من الدستور) التزاماً على الجمهورية الإيرانية بمساعدة النضال العادل للمقهورين ضد قاهريهم **فى كل مكان فى العالم** . وطبقاً للمادة الخامسة فإنه نظراً لغياب الإمام الثانى عشر لطائفة الشيعة ، فإن رئاسة هذه الرسالة العالمية قد أسندت بصفة مؤقتة لآية الله الخومينى .

ومع أن هذا الدستور يعتبر فى الأصل أداة قانونية ، إلا أنه لم يتوان عن الإعراب عن أمله فى أن يرسل الله الإمام الملثم الغائب فى أقرب وقت ممكن .

وكنتيجة لأزمة الرهائن فى طهران فى عام ١٩٧٩ ـ التى احتجز فيها أعضاء السفارة الأمريكية بمباركة رسمية من الدولة ـ والخصائص الفريدة التى تميزت بها الحرب العراقية ـ الإيرانية طويلة الأمد ، والهجوم الانتحارى الذى قام به الفدائيون الشيعة فى لبنان ، فإن العالم بأسره ، بما فيه الشعوب الإسلامية ، وقف مبهوراً أمام ظاهرة فارس المعاصرة : أى قيام دولة شيعية أصولية ، كأول حدث حقيقى على هذه الشاكلة منذ حكم الدولة الفاطمية لمصر منذ نحو ١٠٠٠ عام[١] .

إن معظم المسلمين يعرفون الدور المهم الذى لعبه الفرس فى الإسلام ومن أجل الإسلام منذ نشأته . فلقد كان سلمان (الفارسى) المستشار المالى لمحمد ﷺ فارسيا ، وهكذا كان شأن العديدين من عظماء المفكرين فى تاريخ العلوم والفلسفة الإسلامية ، من الفارابي وابن سينا إلى الغزالى والزمخشرى . كما يعرف المسلمون أيضاً الخصوصية الفريدة ، فى مجال الخيال الدينى ، والتى اتسم بها الفارسيون وبلاد الفرس طوال تاريخ البشرية .

وفى الحقيقة ليس هناك من دولة أخرى (مثل فارس) قد أسهمت فى نشأة وإيواء الديانات العديدة المختلفة مثل : عبدة الشمس والنار ، والغنوسطيين ، والأفلاطونيين ، والزرادشستيين والمازديين والمانونين والبارسيين ، والدروز ، والنسطوريين ، وأهل الحق ، واليزيديين (والذين يوصمون « بعبدة الشيطان ») والعلويين ، والبابيين أو البهائيين) والشيعة السبعية والاثنا عشرية ، وأعضاء طائفة الأحمدية . لكن هذا ليس كل شيء .

---

(١) الفاطميون : أسرة حكمت شمال أفريقيا فى القرن العاشر ، وحكمت مصر من ٩٧٣ ـ ١١٧١ ـ أسسها عبدالله من نسل على وفاطمة . (المترجم)

وأياً ما كان انتقاد المسلم السنى (وبعبارة أخرى معظم المسلمين) لنظرية طائفة الشيعة الدينية وممارساتها ، فإنه لن يسمح لنفسه بأن يعلن أن الشيعى ليس مسلماً ، لأن السلطة الوحيدة المخولة بإصدار مثل هذا الحكم هو الله الأعلم وحده بذلك ، حيث يقول محمد (ﷺ) « من رمى أخاه بالكفر باء بها أحدهم » . (صحيح مسلم ، الجزء الأول ، الباب ٢٧ / ١١٦) .

ويرجع التضارب فى الرأى بين الأغلبية من المسلمين السُنّة وبين طائفة الشيعة بجذوره إلى الوضع السياسى الذى ساد فى منتصف القرن السابع الميلادى بعد فترة وجيزة من وفاة النبى (ﷺ) . وعلى النقيض تماماً من السُنّة ، يرفض الشيعة التسليم بالمساواة بين المسلمين فى فهم القرآن كله فهماً صحيحاً وكاملا ، وترتيباً على ذلك قصروا هذا الامتياز والحق فى **الخلافة** على أقرباء محمد (ﷺ) المقربين وذريتهم .

وكان لنهج الصفوة هذا القائل بوجود نبالة - إن لم نقل كهانة - إسلامية آثار بعيدة المدى .

حيث يرفض الشيعة الاعتراف بشرعية الخلفاء الراشدين الثلاثة (الذين سبقوا صهر النبى (ﷺ) عليا كما يرفضون كافة قراراتهم ، والأحاديث المنقولة بواسطتهم .

والأسوأ من ذلك أن هذا النهج الشيعى يوهن من المفهوم المثالى لمبدأ المساواة فى الإسلام ، والطابع الدولى والعالمى له ، وخاصية الاعتدال فيه . وبينما تعتبر رباطة الجأش والرزانة - « الصبر عند الشدائد » - من السمات المميزة للمفهوم المثالى للسُنّة ، فإن هذا المفهوم يتناقض كلية مع موقف طائفة الشيعة المتسم بالرفض الثورى ، وما ينطوى عليه من غضب عاصف ، والذى يتمثل أقصى مظاهره تطرفاً فى الجلد العلنى .

ومن العسير أن يرى المرء إمكانية للتوفيق بين الإسلام ـ الذى وُصِفَ فى القرآن باعتباره « دين الوسطية » ـ وبين هذه المظاهر المتطرفة .

وإنه لمن الأجدى للمسلمين أن يكونوا واقعيين ، وإذا ما كان لهم أن يكونوا كذلك ، فلسوف يصعب عليهم تجاهل حقيقة أن النظرة الغربية لما يحدث حالياً فى جمهورية إيران الإسلامية تحد كثيرا من فرص انتشار الإسلام فى الغرب ـ على الاقل طالما نُظر إلى الشيعة والسنة خطأ باعتبارهما شيئاً واحداً .

إن إيران المعاصرة ، بحماستها الشديدة للجهاد فى سبيل الله ، تزودنا بأروع مثال يبين ـ طبقاً لما قاله ماكس فيبر ـ كيف أن الأخلاق التى تركز على الدافع تنتج آثاراً عكسية فى عالم يفضل الأخلاق التى تركز على نتائج الفعل .

مجمع نيقية الأول

إيزنيك ـ ٢١ يوليو ١٩٨٢

لايملك كل من يعتقد بالنتائج الحاسمة الناجمة عن القرارات التاريخية ، وسواء أكان مسلماً أم مسيحياً ، أن يتحرر من وقع هذا الشعور الجارف الذى ينتابه عند زيارته لمدينة إيزنيك ـ نيقية سابقاً ـ والتى لا تبعد كثيراً عن اسطنبول .

إذ أنه بعد فترة وجيزة من إتمام الصليبيين لاجتياحهم لمدينة القسطنطينية المسيحية (عام ١٢٠٤ م) أصبحت تلك المدينة المتربة الهاجعة ، لفترة قصيرة عاصمة الامبراطورية الرومانية فى المنفى وفى تلك البقعة تقرر مصير البشرية الدينى بشكل نهائى فى عام ٣٢٥ م .

ولايزال المرء قادراً حتى يومنا هذا على تحديد الموقع الذى اجتمع فيه حشد كبير من الأساقفة لحضور مؤتمر نيقية المسكونى الأول (من ١٩ يونيو ـ ٢٥ أغسطس عام ٣٢٥ م) الذى أقر مذهب نيقية الأصلى بشكل حاسم ، وهو المذهب القائل بوحدة الطبيعة بين الله (الآب) والمسيح .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل المذهب المعارض ، والذى تبناه كاهن الإسكندرية الأب آريوس (٢٦٠ ـ ٣٣٦ م) هو المذهب الرسمى للدولة فى عهد الإمبراطور قسطنطين العظيم (٣٣٧ ـ ٣٦١ م) . وفى الواقع فقد استمر اعتناق هذا المذهب قوياً ، خاصة بين القبائل الجرمانية ، حتى

بعد أن أدين مذهب آريوس للمرة الثانية فى عام ٣٨١ م ، وهو المذهب القائل بأنه على الرغم من النفخة الربانية فى خلق المسيح ، فإنه ليس ندًّا ولا خالدًا مثل الآب . لقد اختفى هذا الحدث الدرامى من وعى المسيحيين الغربيين بنفس القدر الذى طمست به تعاليم الأب نسطورس بطريرك القسطنطينية (٣٨١ - ٤٥١ م) والقائلة بأن الله والمسيح يتعايشان منفصلين فى شخص واحد وذلك بعد أن حظرها مجمع افيسوس عام ٤٣١ م .

والحقيقة أنه كان يمكن للمرء - طوال الأعوام الخمسمائة الأولى من تاريخ المسيحية - أن يظل مسيحياً مخلصاً **دون** أن يضطر للإيمان بمذهب وحدة طبيعة المسيح والله . ومن منظور إسلامى فقد يجوز اعتبار أن المسيحيين الآريوسيين والنسطوريين هم - وكانوا دائما - مسلمون ولا أقل من ذلك .

والحقيقة أنه لو أن بضعة أساقفة يبلغ عددهم نحو ١٢٥ أسقفاً كانوا قد حملوا فى عام ٣٢٥ م لواء مقاومة النظرية المتطرفة والقائلة بالطبيعة المتطابقة للمسيح والله ، لكان موقفهم هذا قميناً بإذابة الاختلافات اللاهوتية الجوهرية بين اليهود والمسيحيين والمسلمين .

إن المرء لايملك إلا أن يرتجف فرقاً عندما يتمعن فى كيف قامت قلة من الأساقفة فى نيقية بتحمل تلك المسئولية الهائلة عن مصير الانسانية .

الكنيسة ليست مسجداً

بورصا - ٢٢ يوليو ١٩٨٢

في بورصا ، العاصمة العثمانية العتيقة ، تتاح للمرء متعة التزلج على جبل « أولوداغ » ، كما يمكنه أيضاً أن ينعم بالسباحة فى بحر مرمرة . إلا أن مسجد أولو كامى (المسجد الكبير) والذى يقع فى قلب المدينة تماماً ، يعد من أشهر غرائبها ، حيث تمثل جدرانه الداخلية فى الواقع متحفاً للخط العربى بعد أن قام الأتراك بإضفاء قدر من التنوع على أسلوبه والوصول به إلى مرتبة الكمال .

ولاتقل عن ذلك روعة تلك النافورة ذات الخرير الهامس التى تقع فى صحن المسجد حيث يعقد أهل المدينة مجالسهم أحياناً . وهنالك أيضاً يستريح السائحون بعد أداء **ركعتى** تحية المسجد ، وكذلك يتمايل الدارسون برفق وهم يتلون القرآن ، كما تجد البعض الآخر من الزوار وهم يغتسلون للوضوء .

وبجوار المحراب ترى دائماً قلة من المسلمين سادرين فى تأملاتهم ، ومستغرقين فى مناجاة ما وراء الوجود . وبالقرب منهم راح البعض الآخر فى قيلولة قصيرة قبل صلاة **العصر** .

ولربما كانت رؤية كل ذلك مثاراً لدهشة الزوار الغربيين الذين ألفوا أن الكنيسة لاتستخدم إلا كمكان للعبادة فقط (ثم تغلق أبوابها بعد ذلك) ، حيث لم يصل إلى علمهم بعد أن المسجد لا يضم مذبحاً أو هيكلاً محاطاً

بالأقداس ، وما ينبغى له أن يكون أكثر من مكان طاهر يجتمع فيه الناس للصلاة .

وحالما يعى الإنسان ذلك ، فإنه سرعان مايدرك مغزى الدور المتكامل الذى تلعبه المساجد كمراكز اجتماعية ـ سياسية . وفى كثير من الأحيان تجدها وقد أحاطت بها المطابخ . ودور الكتب ، والحمامات ، والمدارس ، والمقابر .

أروع من أن يصدقه عقل

بون - ١٩ سبتمبر ١٩٨٢

استقبلني الوزير المستشار في السفارة السعودية في الوقت الذي كانت تتخذ فيه إجراءات تلبية طلبي للحصول على تأشيرة الحج . وعلى غير عادة الدبلوماسيين الأجانب في هذه الأيام ، لم يبادرني بأية أسئلة عن قرار منظمة حلف شمال الأطلنطي بوضع صواريخ نووية متوسطة المدى في أوروبا ، وإنما ركز جلّ اهتمامه على قضية أخرى مختلفة تماماً تتعلق بدور كل من المسيح ومحمد (ﷺ) ، والعلاقات فيما بينهما ، قبيل قيام الساعة وبعدها . وكان مضيفي يعرف كل ما يجب معرفته عن هذا الموضوع المثير للتأمل من أدب الحديث الشريف .

ولشد ما أدهشتني تلك الحقيقة المذهلة ألا وهي أن هناك دولة في القرن العشرين يولي دبلوماسيوها أولوية للقضايا الدينية على القضايا السياسية . وكان ذلك أروع من أن يصدقه عقل .

مجتمع الكحول والنيكوتين ولحم الخنزير

طائرة لوفتهانزا - رحلة رقم ٦٢٤ - ١٨ ديسمبر ١٩٨٢

عندما أوشكت طائرتنا اللوفتهانزا على الاقتراب من جدة فى رحلتها القادمة من فرانكفورت ، انتاب معظم ركابها الألمان - ومعظمهم من النساء والأطفال الذين حملوا معهم أشجار عيد الميلاد داخل الكابينة - سعار طلب وتجرع كل ما يستطيعونه من الويسكى والجن قبل أن تهبط الطائرة ، لأنهم فى نهاية الأمر ، وما إن تلمس عجلات طائرتهم أرض المطار ، حتى تبدأ فترة إقامتهم المزعجة بدون كحول مع الأزواج أو الأباء فى معسكرات التعمير .

ولكم كان ذلك مظهراً فجاً لتلك الحقيقة المؤلمة ، وهى أننا أهل الغرب نعيش فى بيئة انتحارية معبقة بالكحول ، أو بعبارة أدق فى مجتمع الكحول والنيكوتين ولحم الخنزير ، وهى تجربة جعلتنى أود لو أننى كنت قد حجزت لنفسى فى رحلة لا تقدم فيها مشروبات .

كم من الآلام كان يمكن تجنبها - مثل حوادث السيارات ، والطلاق ، والتليف الكبدى - لو أن الناس التزموا بتحريم القرآن للخمر (على الأقل لم أكن لأفقد أسنانى فى حادث تصادم سيارة عام ١٩٥١) .

لقد مر علىّ وقت بلغت فيه خبرتى كذواقة لأنواع الخمور المختلفة الحد الذى جعلنى قادرا على التمييز بلاهفوة واحدة ، وبمجرد لمسة بظهارة اللسان ، بين أنواع النبيذ المعتقة الجران كرى ، وهى من انواع

النبيذ الأحمر الفاخر ، وتصنع فى الكوت دور فى برغندى ، والشامبرتان ، والموسينى ، والكلو فوجو ، والرومانى ، والإيشوزو ، والكورتون - التى تمتد كرومها مابين بون وديجون .

بل إننى حتى فى بداية اعتناقى للإسلام ، كان من العسير علىّ أن أتخيل استطاعتى النوم بدون أن أتناول قنينة من النبيذ الأحمر فى وقت العشاء . ومع ذلك فإننى الآن أستطيع النوم أفضل من أى وقت مضى ، لأن جهاز الدورة الدموية والكبد فى جسدى سوف يستريحان بدورهما عندما أستغرق فى النعاس .

إن الغربيين لايصدقون إمكانية أن تسود البهجة والمرح فى حفل لايقدم فيه كحول ، ومع ذلك فما عليهم إلا أن يشهدوا عُرساً إسلاميًّا .

إن معظم الساسة يدركون النتائج الخطيرة الكامنة فى معاقرة الغربيين للخمر مثل انحطاط الصحة العامة ، وانخفاض إنتاجية العمل ، والمخاطر الأمنية فى العمل والطريق ، وتبديد الموارد الاقتصادية . ولكنهم يفتقرون إلى العزم الضرورى اللازم لمحاربة « أفيون الشعوب » هذا . لقد حرم النبى محمد (ﷺ) وهو فى المدينة بصورة كاملة المسكرات والمخدرات ، باعتباره أمرا تفرضه الضرورة ، رغم أن ذلك كان عملاً جسيماً يناقض الشائع . لكن المسلمين فى المدينة أراقوا ما لديهم من نبيذ البلح على الأرض ، مما يثبت أن ما هو مكروه قد يصبح محبوباً لو دعت له قيادة لها جاذبية كاريزمية .

الأخوة فى الإسلام

جدة - ١٨ ديسمبر ١٩٨٢

فى مكتب فحص الجوازات أخذ مسئول الجوازات السعودى الشاب يجيل نظراته متمعنا عدة مرات ما بين تأشيرة الحج ووجوهنا حتى بدأ يساورنى القلق بأن هناك شيئا ما لا يتفق والإجراءات البيروقراطية المحكمة . ثم لاحظت الدموع تنساب على وجهه ، وعلى غير انتظار منى وجدته يقفز منحنيا من فوق « الكاونتر » محتضناً إياى باعتبارى أخاه فى الإسلام » .

وكم من مرة شهدت دموع الفرح هذه فى وجوه المسلمين الشرقيين الوضاءة عندما يعرفون أنى مسلم .

وإذا كان قد قدر للمسيحيين أن يفهموا مثل هذه المشاعر لأدركوا بشكل أفضل فشل جهد التبشير المسيحى بين المسلمين .

إن المسلم - وإن كان مدقعاً ، أو أميًا ، أو لايحفظ من القرآن سوى سورتى الفاتحة والإخلاص - لسوف يظل يشعر بأنه أوفر حظًا بكثير فى مجال المعرفة الضرورية من غير المسلمين ، لاسيما أولئك الذين يعتنقون أفكاراً تنطوى على الشرك مثل « ابن الله » ، و« أم الله » ، و« الثالوث المقدس : الآب ، والابن ، والروح القدس ، والخلاص عن طريق التضحية بالذات الإلّهية ، والأسرار المقدسة .

إن المسلم الفقير الأمى عندما ينطق بـ « لا إله إلا الله » ليشعر بالغبطة لاقتناعه بأنه بذلك خلف وراءه عصر **الجاهلية** وحتى لو لم يكن ذلك قد تم بالنسبة للآخرين .

الحج إلى مكة

مكة - ٢٠ ديسمبر ١٩٨٢

دخلنا المسجد الحرام - مرتدين ملابس الإحرام البسيطة البيضاء - مستقبلين الكعبة الكائنة فى قلب رحبة داخلية فسيحة .. وإنها للحظة لا يجرؤ حتى المسلم أن يحلم بها قبل حدوثها .

فعندما يشهد المرء بأم عينيه آثاراً معمارية أو طبيعية اعتاد على رؤيتها فى الصور والأفلام ، فإنه غالبا ما يصاب بإحباط شديد عندما تأتى الحقيقة دون الخيال .

ولكن الأمر كان مختلفاً فى هذه الحالة .

لم يكن هناك ضجيج الأسواق حول هذا المسجد ، ولا مناخ سحرى قدسى حار . وكان كل شيء يبدو بسيطا ينضح بالكبرياء والذوق الفنى الرفيع . ولم يثر حشد الحجيج الضخم جلبة ما أوتزاحماً بالمناكب . وإنما على النقيض من ذلك ، ساد الانسجام أثناء أدائه لصلاة الجماعة ، فى صمت مطبق يصون لكل امرىء استقلاله الذاتى . كان هناك عشرة آلاف حاج وزائر يطوفون حول الكعبة صامتين .

وكم كان تأثير ذلك آخذاً بالألباب .

وغمرتنا مشاعر دافقة بالترحيب والإحساس بالأمان التام بين إخواننا . هناك أدركنا معنى تحية « السلام عليكم » وقد بدت نابضة بالحياة .

حيث تتجسد الكرامة ، والجمال والإيمان والأممية .

لقد شعرنا بأننا مثل ذرات فى وحدة كونية كبيرة ، حيث تختفى فى مكة الفوارق بين الأجناس . وخلال ركوعى فى الصلاة فقط ، أدركت من الأقدام المختلفة الألوان ، أن كل الأجناس والقارات ممثلة هنا .

وتعد الكعبة ، كنموذج لأى شىء ثلاثى الأبعاد ، فى بساطتها المطلقة ، رد الإسلام الأمثل على الحاجة إلى رمز مرئى لله . وإذا كان الله (سبحانه وتعالى) ـ على حد تعبير ابن سينا ـ هو البساطة فى أوجها ، فإن هذا المكعب المجوف والمجرد من الزينة هو أفضل ما يرمز لله من أى نموذج معمارى آخر .

والكعبة باعتبارها نقطة ثابتة وقبلة (يتجه إليها المصلى) تمثل مرساة رمزية لديانة عالمية تعلم يقيناً أن الله ليس فى الشرق أو فى الغرب ، وإنما يتجاوز كل قيود الزمان والمكان .

وتتضاءل إزاء هذا الحل المعمارى « لبيت الله » كل الكاتدرائيات المشيدة على الطراز القوطى ، وكافة الكنائس المبنية على الطراز الباروكى لتصبح حليا صغيرة تافهة .

وبعد أن طفنا سبع مرات حول الكعبة تحت قبة السماء المرصعة بالنجوم الساطعة ـ أية ديانة أخرى تبلغ بها البساطة حد أداء شعائرها فى معابد مكشوفة ؟) ـ توقفنا عند **الحجر الأسود** الذى وضعه فى مكانه محمد (ﷺ) حيث انهال عليه الناس تقبيلا وعويلا .

وتثير هذه العادة الكثير من التحامل على الإسلام من قبل قوم لم يتدبروا قط فى أن تقبيل الحجاج المسيحيين إلى روما لأثر إبهام قدم القديس بطرس يمثل انخراطا فى عبادة قطعة من المعدن .

وما من امرىء قد يساوره مثل هذا الشك عندما يرى هؤلاء الحجاج فى مكة (على الرغم من رواج عبادة الأصنام المصنوعة من الاحجار فى بلاد العرب فى عصر ما قبل الإسلام) . وعلى الرغم من إمكانية أن تتحرر الرموز من الأفكار الكامنة وراءها ، فإنها قد لاتفعل ذلك بالضرورة . إن كل تكبيرة « **الله اكبر** » (أو كما ترجمها لورنس العرب : « إن الله وحده هو الكبير ») لهى دليل حى يدحض الزعم بعبادة حجر أسود بسيط .

أدّينا منسك السعى الذى يرجع إلى عهود سحيقة - وهو الهرولة سبعة أشواط بين جبلى الصفا والمروة التوءمين ، واللذين يقعان بجوار المسجد الحرام ويشكلان جزءا منه - بمساعدة المطوف السعودى . ولابد أن يكون قد شق عليه أن يسمعنا ونحن نتعثر فى نطق الابتهالات العربية بلهجتنا المروعة .

وعندما أتممنا مناسك العمرة قام صبى صغير بمساعدتنا فى قص خصلة من الشعر لكل منا كرمز لعودتنا إلى ممارسة حياتنا العادية (التحلل من الإحرام) . وهكذا أصبح بوسعى الآن أن أستبدل ملابس الإحرام الاستثنائية بلباسى المعتاد .

وفى اليوم التالى راودنا الأمل فى أن نكون وحدنا ولو لمرة واحدة فى هذا المسجد الآسر ، فبالغنا فى التبكير بالاستيقاظ ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وقبل الأذان الأول .

ولكن ذلك لم يجد ، حيث كان مئات المسلمين يتدفقون ليل نهار بلا انقطاع للطواف ، أو يصطفون منتظرين لمس أو تقبيل الحجر الأسود مرة أخرى .

وكان هؤلاء المسلمون ، وهم يفعلون ذلك ، يوثقون من أواصر

علاقتهم الشخصية ، ليس فقط بملايين المسلمين الذين جاءوا إلى هذا المكان من قبلهم (والذين سوف يحضرون فى المستقبل إن شاء الله) وإنما بنبى الإسلام (ﷺ) . ذلك أنه عندما كان قد أصبح من المتعين إعادة بناء الكعبة للمرة الثانية بعد طوفان اجتاحها ، كان محمد (ﷺ) باعتباره وسيطا بين الفرقاء ، هو الذى وضع الحجر الأسود فى مكانه الحالى فى الركن الشرقى من البناء .

إن هذا الوعى التاريخى خليق بدين ترجع شعائر الحج فيه إلى إبراهيم (عليه السلام) على امتداد فترة تزيد على ٣٨٠٠ عام ، شريطة أن يكون الحاج على علم كاف بالمضامين التاريخية والرمزية للطقوس التى يؤديها بطبيعة الحال .

إن الكنائس المسيحية لاتعترف بسهولة بالشعائر اليهودية والوثنية التى تتضمنها طقوسها ، إلا أن الإسلام لايجد حرجا فى الاعتراف بالأصول القديمة لشعائره . فمحمد (ﷺ) لم يدع مطلقا بأنه قد جاء بدين جديد ، وإنما كانت رسالته هى تجديد وإتمام دين الله الواحد أى التسليم والخضوع ، أى الإسلام منذ الأزل .

بجوار قبر النبى

المدينة ـ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٢

إن من شهد الاحتفالات الليلية البالغة الحماس بالمولد النبوى فى المساجد وقد غمرتها الأضواء من داخلها وخارجها ، وشابت مراسمها بعض الطقوس ذات الصبغة الكهنوتية ، سيؤخذ بمظاهر الحزم التى تسعى الشرطة الدينية السعودية فى المدينة من خلالها إلى ضمان عدم قيام أى شخص بأداء فريضة الصلاة فى مواجهة قبر النبى . وتكفل هذه اليقظة من جانبهم ألا يصلى الناس فى يوم مولده وبالقرب من قبره ، سوى النوافل .

وليس للمرء أن ينتقد هذا السلوك إذا ما أدرك ما حدث بعد وفاة المسيح من عملية بدأت بالإعجاب به وانتهت بتأليهه .

ويسعى الإسلام إلى كبح جماح مثل هذه الاتجاهات قبل استشرائها .

حادث مؤسف فى الفندق

المدينة ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٨٢

فى هذا العام ، وفى يوم الجمعة عشية عيد الميلاد تصادف مجيء ذكرى المولد لمحمد (ﷺ) متزامنة مع عيد الميلاد المفترض للمسيح ـ وفى أثناء دخولنا قاعة الطعام بفندق شيراتون المدينة لتناول وجبة الغداء أقبل علينا النادل الباكستانى مبتسما متمنيا لنا بعبارات ودية « كريسماس سعيدا » . وكان من الواضح أنه اعتقد أننا مسيحيون حيث إن الفندق يقع خارج منطقة الحرم ، ومن ثم يجوز لغير المسلمين ارتياده .

وعندما أجبته بحرارة مماثلة : إننا مسلمون **والحمد لله** ، تجمد النادل المسكين هو وزملاؤه فى أماكنهم رعبا .

وسرعان ما أقبل علينا مدير الفندق يرجونا أن نقبل بأن تكون وجبتنا ، وكذلك شاى الأصيل ، على حساب الفندق كتعويض بسيط عما لحق بنا من إهانة .

وبدا الأمر كما لو أن المسلمين ليسوا مطالبين بتبجيل المسيح النبى ، وكما لو أنهم لم يؤمروا بالإيمان بحقيقة تنزيل الكتاب المقدس . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضآلة معرفة المسلمين البسطاء بالعهد الجديد على النحو الذى تتضاءل به معرفة الكاثوليك بالعهد القديم .

حول حجاب المرأة

المدينة ـ ٢٥ ديسمبر ١٩٨٢

توجهنا فى المساء سيرا على الأقدام إلى الحرم النبوى ، والذى لمست بعض المبالغة فى زخارفه ـ للمشاركة فى صلاة **المغرب** .

وكان علىّ أن افترق عن زوجتى التى اختفت بين مئات النسوة ذوات **المظهر** المتماثل ، حيث كن جميعا محجبات ويرتدين **عباءات** سوداء متشابهة . ثم انتظرتها بعد ذلك تحت أحد مصابيح الطريق حتى تصطحبنى ، مدركا مدى التغير الشامل الذى طرأ على أدوارنا ـ عاداتنا ـ (حيث كان البديل ، وهو قيامى بمحاولة التعرف على زوجتى ، أمرا محفوفا بالمخاطر الجسيمة فى بلد لايستطيع الرجال فيه مخاطبة النساء) .

وبينما كنت أنتظر ، ناقشت نفسى فى مزايا وعيوب عادة ستر جسد المرأة كلية ، وهى عادة ليست عربية الأصل وإنما هى بيزنطية وإيرانية . فلقد كان من الواضح أن النساء المرفهات والمنتميات إلى الطبقة الراقية قد اكتشفن أن الحجاب يرمز إلى تميزهن الطبقى . وبفضل هذه الوسيلة أمكنهن أن يجعلن من أنفسهن بعيدات المنال إلى حد ما ، ويظهرن وقد عز طلبهن وعلا قدرهن . ومن الطبيعى أن تكريس الحجاب يقوى من نزعة الغيرة عند الشرقيين .

على أية حال ، فالحقيقة هى أن النساء المسلمات فى عهدالنبى

(ﷺ) وبعده مباشرة لم يكن محجبات كلية ، وهذا الحال بالنسبة للبدويات فى المملكة العربية السعودية حتى يومنا هذا .

والحقيقة أيضا هى أنه يجب على النساء الذاهبات لأداء فريضة الحج ألا يغطين وجوههن ، لأن أمهاتهن المعاصرات لعهد النبى (ﷺ) لم يفعلن ذلك قطعا عندما كن يتوجهن إلى الحج .

فمن ناحية قد يكون هناك بعض المنطق فى تزيد النساء تطوعا بأكثر مما جاء فى القرآن من أمر بستر أنفسهن . وإذا كان الهدف من ستر شعر المرأة وصدرها وذراعيها ، هو لحمايتها من أن تكون مطمعا للغرائز الجنسية ، ولحماية العلاقات الزوجية من محاولات الإغواء السافر ، ولتجنب المنافسات غير المجدية والمدمرة فى التزين والموضة بين النساء - أى لتحرير المرأة من هذه المحاذير الثلاثة - فلماذا تظل إذن مناطق تركيز الرغبة الجنسية مثل العينين ، والفم ، والكاحلين مكشوفة للعيان ؟

ومن ناحية أخرى فإن تاريخ تطور الموضة يقدم لنا دليلا كافيا على أن استخدام الحجاب قد يكون مثيرا للغرائز على نحو شديد ، وأن مناطق الإغراء تتعرض للتغيير بصفة دورية من وجهة نظر اهتمامات الرجل الجنسية على النحو الذى تدل عليه بوضوح عملية تقصير تنورة المرأة تاريخيا إبان القرن التاسع عشر .

إن ما يعد فى الوقت الحاضر فضيحة قد يصبح فى الغد أمرا تافها .

وقد يجوز للمرء أن يدعى أن التساؤل عن الحد الذى يجب التوقف عنده أمر ليس له أهمية إن لم يكن لا موجب له . حيث توجد **ثمة** حدود للتعرية ، أليس كذلك ؟ فإذا ما تم التسليم بذلك ، فإن الحد الفعلى - النقاب الكامل أو الجزئى - يصبح أمرا ثانويا .

إن الحل الإسلامى لهذه المشكلة ينبغى أن يستخلص من التوفيق بين مبدأين رئيسيين هما : مراعاة الاحتشام وروح العصر ، والموازنة بين الغاية والوسيلة ، ولهذا السبب فإن معظم المسلمات يسترن أنفسهن بطريقة معقولة وكافية جريا على قواعد **السنة** الرشيدة .

وإنهن ليؤكدن بترك الحجاب كلية على أن استقرار حياتهن الزوجية لا يتوقف فقط على انعدام الفرص الأخرى أمامهن . وإنه لمن العار ، أليس كذلك ؟ أن يتوقف إخلاص كل من الزوجين المسلمين للآخر على عدم إجراء مقارنات جنسية فقط .

كما أن حجاب المرأة المسلمة ليس عرضا من أعراض عدم النضج من جانبها ، أو جانب زوجها ، بل إن العكس هو الصحيح تماما .

الاستغراق فى الصلاة

المدينة ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٨٢

كانت زيارة الوداع للمسجد النبوى .

تأخرنا اليوم بعض الوقت فى إخلاء المبنى بعد أداء الصلاة . وكان يبدو أن هناك شيئا ما يسد المدخل الرئيسى . وفى منتصف الدرج تماما كان هناك أحد المسلمين مستغرقا كلية فى الصلاة ، وربما يكون قد وصل متأخرا وقبيل التسليمة الأخيرة التى ينطق بها الجميع مرة ذات اليمين وأخرى ذات اليسار . والآن وقد أدرك هذا المتأخر مافاته ، فقد استغرق فى صلاته لدرجة أنسته كل ما حوله .

وكان كل من المصلين يبتعدون عن طريقه ، محاذرين أن يزعجوه . وما من أحد انتقده بسبب التأخير الذى تسبب فيه ، لأن هذا المسلم كان يؤدى واجبه (الدينى) ولاشىء أكثر من ذلك .

وهذا المشهد لا يمكن أن يحدث بالطبع عندما يتزاحم الحجاج المسيحيون فى كنيسة القديس بطرس فى روما . وقد يعزى هذا الاختلاف إلى حقيقة أن الطقوس الدينية المسيحية لاتعترف بسوى القداس الملزم الذى يقوم به القس كشعيرة دينية رسمية . أما فى الإسلام فلا توجد سوى فريضة واحدة واجبة على الجميع . وما إمامة الإمام للصلاة إلا من أجل أدائها فى مواعيدها .

وتحتل فريضة الصلاة فى الإسلام أعلى مكانة ودرجة ممكنة حيث

كرست كافة كتب الفقه الإسلامي فصولها الافتتاحية لتناولها ، مثل الموجز القيم لمحيى الدين أبو زكريا النواوى « **منهاج الطالبين** » الصادر فى القرن الثالث عشر . ومن أوائل هذه الأعمال أيضاً « **الموطىء** » للإمام مالك بن أنس ، والذى خصص كتبه الأربعة عشر الأولى لشروط صحة الصلاة وقواعدها .

وطبقا لهذه القواعد ، يجب على كل مسلم أن يحترم احتراما كاملا سلام وهدوء القائم بالصلاة . وينبغى عدم انتهاك حرم المكان اللازم للصلاة - وسواء أكان معينا أم لا (بمساحة سجادة الصلاة الحقيقية أو المفترضة أو بمجرد نظارة يضعها أمامه) تحت أى ظرف من الظروف .

وإذا ما اطمأن المسلم إلى مراعاة أصول هذا السلوك المتحضر - كما يحدث فى كل بلد إسلامى - فإنه يكون من اليسير عليه نسبيا الاستغراق بعمق فى صلاته سواء فى محطة بنزين ، أو على الطوار ، أو حتى فوق السقالات الشاهقة .

إن قوة الحركة الإسلامية التى كثيرا ماينظر الغرب إليها كلغز قد ولدت فى النور ، ونتجت من القدرة على الصلاة .

هواجس حول سلامة الصلاة

بدر - ٢٧ ديسمبر ١٩٨٢

فى رحلة عودتنا من المدينة إلى جدة اقتربنا من بدر ، وهى المكان الذى تعلق فيه مصير الإسلام كله فى عام ٦٢٤ على نتيجة مجرد مناوشة عسكرية . وكان قائد الحافلة يقيس بين حين وآخر موضع الشمس ، وعندما تجاوزت القمة بوضوح - لم يعد هناك مجال لخشية عبادة الشمس - توقف ودعا جميع الركاب لصلاة **الظهر** .

وعندما انتظمنا فى صف واحد بطول الطريق ، نصحنى جارى - وكان هنديا من جنوب إفريقيا - بلطف أن أخلع نظارة الشمس ، وإلا لما تمكنت أثناء السجود من أن ألمس الأرض بجبهتى وأنفى كما ينبغى لى أن أفعل . ولكم كان هذا الأمر جديرا بالملاحظة من عدة وجوه !

فأولا أن هناك مسلما غريبا عنى تماما يبدى حرصا أخويا شديدا على سلامة صلاتى . ومن غير أن يكون واعظا بطريقة فجة فقد التزم بإحدى تعليمات الإسلام الأساسية الخاصة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ومن ناحية أخرى ، فقد أظهر جارى أن المعرفة التفصيلية بكل قاعدة من قواعد الصلاة تعد أمرا عاديا بالنسبة للمسلمين من كل الجنسيات ومن كل المستويات والمهن . ومن ناحية ثالثة ، أوضح لى أن الصلاة فى

الإسلام هي جهد نَشيط للروح والجسد معا . وبالمناسبة فإن حديث العهد بالإسلام سوف يعاني من الجهد العضلي كثيرا[1] .

إن صلاة المسلم الرشيد - شأنها في ذلك شأن نظرته إلى كل الأمور وإنعكاسا لشخصيته - هي دعوة للإخاء والوحدة على قدم المساواة بين الناس . فالإسلام يعني السجود والعكس صحيح .

---

(١) ويعرف الأطباء العاملون في منظمة خلف شمال الأطلنطي هذا ، حيث أشاروا باستحسان إلى عادة الصلاة باعتبارها « تمرينات رياضية يومية » ، وذلك أثناء قيامي بإجراء فحص طبي عام ١٩٨٣ . (المترجم)

الإسلام وعصر الازدهار البترولى

جدة - ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢

حالف الحظ العرب مرتين فى تاريخهم ، الأولى فى القرن السابع الميلادى عندما جعل الإسلام من مكة قبلة لأنظار العالم ، والثانية بعد عام ١٩٧٣ عندما حققت أسعار البترول ارتفاعا صاروخيا . وعندما أمر الله سبحانه وتعالى النبى العربى بقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسمِ رَبّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ (سورة العلق الاية الأولى) فإنه أسبغ عليه نعمة دائمة . ثم جاء اكتشاف البترول يحمل الكثير من أسباب الخير .

وإذا ما كان المرء من أهل الحجاز ، فإن هذين الحدثين المذهلين كانا كفيلين بأن يوحيا له بأنه ينتمى إلى « شعب مختار » له صبغة عربية .

بيد أن صديقى السعودى الشاب رفيق بنوى وزملاءه لم يتأثروا بهذه الثروة الجديدة التى هبطت عليهم ، حيث سموا بكبريائهم - تراث العائلات البدوية الحرة - فوق حسابات البنوك . لم يخلب لبهم سعر صرف الدولار ، أو أسعار السوق النقدية أو مسألة الحرية الجنسية التى روج لها هربرت ماركوس ، وفضلوا على كل ذلك مناقشة قضاياهم الدينية .

ففى كل صباح كانوا يتصلون بالبعض هاتفيا للتأكد من أن أيًّا منهم لم يفوّت عليه نعاسه فرصة صلاة **الفجر** . أما فى الغرب فإن المرء

كثيرا مايتساءل عن مدى قدرة هذا السلوك الصارم فى التمسك بأهداب الفضيلة على الصمود فى مواجهة هجوم الرفاهية ، كما أنه ليس بوسع المرء أن يتصور كيف يمكن تجنب ظاهرة التفسخ ، فى ظل الغنى الوافر .

ولم يمر السعوديون بالطبع بكافة مراحل دخول عصر التصنيع ، وإنما اقتحموا فجأة العصر التكنولوجى فى مرحلة مابعد عصر الصناعة . والسؤال المطروح الآن هو ما إذا كانت هذه الظاهرة سوف تزيد أم تقلل من الأخطار التى يتعرض لها الدين نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة .

وقبل أن يستطرد المرء فى تكهناته إلى أبعد من ذلك ، فإنه ينبغى لنا أن نعترف لأنفسنا بالصبغة الماركسية لهذا المنهج ! هل انغمسنا إلى هذا الحد فى المادية إلى الدرجة التى تجعلنا غير قادرين على تخيل ما هو أكثر من البناء الفوقى (كما أسماه ماركس) ، ماهو أكثر من انعكاس الأوضاع الاقتصادية السائدة ؟

فى الواقع أن الإسلام هو أكثر من مجرد التصنيف الطبقى ، ودخل الفرد . إن هذا الدين لقادر على أن يمنح المرء مناعة قوية ضد عبادة المال والترف .

فالمسلم الصالح لن يعمل على ترتيب أولوياته طبقا لمعايير السوق فهو يقاوم نزعة الوصول بالإنتاج إلى أعلى مستوياته وتعظيم الربح

وفى الوقت ذاته فإن المسلمين لا يعتبرون الملكية الخاصة والتجارة ، والربح ، والثروة شرا ، ولايحقرونها . والمسلم الصالح شأنه فى ذلك شأن مدير الأعمال المسيحى من طائفة « العمل من اجل

الله »[1] لايشعر بأنه غريب عن عالم الاقتصاد ، ولا أن يبتذل نفسه فى طاعة مبدأ المنفعة .

وعلى هذا الأساس فإن هناك أملا مشروعا فى أن يستطيع الإسلام ، بتجنبه لتجاوزات الحضارتين الغربية والماركسية اللينينية ، أن يصبح البديل الأفضل : البديل ذا الوجه الإنسانى .

---

(١) طائفة العمل من أجل الله (Opus Dei) ، رابطة كاثوليكية عالمية أسسها قس أسبانى فى عام ١٩٢٨ تضم العلمانيين والدعاة المدنيين الذين يحاولون عن طريق مهنهم وعملهم فى المجتمع ، أن يروجوا للفضائل المسيحية . (المترجم)

عندما يسلم المرء بفكره لله

آخن (إكس لاشايل) ٥ فبراير ١٩٨٣

فى أثناء الاجتماع الذى يعقد سنويا فى فصل الربيع للمسلمين المتحدثين بالألمانية فى مسجد بلال بمدينة آخن ، اعترض أحدهم على اتفاق وظيفتى كمدير للإعلام فى منظمة حلف شمال الأطلنطى مع معتقداتى الإسلامية - ومع ذلك فلم تواجهنى صعوبة ما فى التوفيق بين هذين الدورين . لأنه إذا كانت هناك فرصة على الإطلاق للإسلام للانتشار فى الغرب ، فإنه ينبغى للغرب قبل أى شىء آخر أن يكون بمأمن عن المد والترويع السوفيتى . حيث إن حلف الأطلنطى قد نجح فى احتواء وتحييد هذا الخطر الذى يعتبر أعظم الأخطار الخارجية - حتى بالنسبة للعالم الإسلامى .

وإنى لأعترف بالطبع أن الاتحاد السوفيتى بوصفه القوة القائدة للشيوعية الدولية يعتبر المشكلة الايديولوجية الأقل خطرا على الإسلام من « لا أدرية » الغرب وماديته وتكنولوجيته . لأن الإلحاد الغربى « العلمى » يتسلل بخفة بخطوات مثل خطوات قطة صغيرة (إذا ما استعرنا عبارات روبرت فروست) ، أما الإلحاد السوفيتى « العلمى » فإنه يفرض بقسوة بواسطة فرق دبابات الجيش الأحمر ، كما حدث فى أفغانستان .

وعلى الرغم من ذلك فإنه لايزال صحيحا أن أية صحوة روحانية فى الغرب ، بما فى ذلك الاستعداد لاعتناق الإسلام ، تفترض بداءة

توافر الأمن المادى ضد التدخل السوفيتى . ولذلك فإن المصالح السياسية لحلف الأطلنطى وللدول الإسلامية تتفق حاليا .

وكان من المتوقع أيضا أن أشرح تجربتى الشخصية « الطريق إلى مكة » .ولما كان فى مقدورنا اختصار كل ما يمكن أن يقال ، فهاك ماقلته :

« عندما قرأت القرآن لأول مرة تأثرت على الفور ، بل أخذت بما جاء فى الآية ١٦٤ من سورة « الأنعام » : ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ ولقد فهمت خطأ أن هذه الآية تمثل قاعدة أخلاقية (أبعد ما تكون عن المسيحية) بدلا من رؤيتها على وجهها الصحيح باعتبارها حقيقة لاهوتية : حيث يقف الرجل والمرأة أمام الخالق مباشرة بلا أى شفيع ، ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يَشفَعُ عِندَهُ - إلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾ على النحو الذى أوردته بشكل قاطع آية الكرسى فى سورة البقرة (الآية ٢٥٥) . و ﴿ **لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ تأتى بدورها بمغزى أساسى آخر ، ألا وهو إنكار مفهوم الخطيئة الأولى لآدم .

وإذا لم يبدأ المرء بافتراض أننا فى حاجة ماسة إلى « الخلاص » فلن يبحث عن « مخلص » وليس من المحتمل أن يجده . ومن ثم فإن هذا البيان القرآنى يسلط قدرا كبيرا من الضوء على الآليات التى يمكنها أن تقود المسيحية إلى الضلال .

وبعد أن أدركت ذلك أيقنت الآن أيضا أن الإسلام ليس خطوة إلى الوراء ، وإنما خطوة قادت الإنسانية إلى الأمام ، وإلى مرحلة أكثر تقدما من تلك التى وصلتها بعد المسيح . وإذا ما جاز لنا أن نستخدم مصطلحات هيجل وماركس ، فإنه يمكن القول أن الإسلام قد أوقف المسيحية على قدميها مرة أخرى بعد أن كانت واقفة على رأسها .

وبينما يزعم اللا أدريون أنه لايمكننا أن نعرف شيئا لا تصل إليه

مدركاتنا الحسية على وجه اليقين ، فإنهم يذهبون إلى تأكيد احتمال عدم وجود حقيقة وراء هذه المدركات .

وهو ليس موقفا يفتقر إلى الذكاء وإنما إلى التبرير ، ويتسم بالتحيز . ولعله كان من الأقرب إلى الأمانة ـ على أساس قدرة الفكر الإنسانى على الاستقصاء ـ الاعتراف بأننا لانستطيع حتى أن نفترض احتمالات بالنسبة للغيب .

ولما كنت قد اعتنقت هذا الرأى الأخير لفترة من الوقت ، فقد استطعت أن أحدس يوما ما أن حدود ما يمكننا إدراكه ليست هى حدود الحقيقة . وكان ذلك قرارا منى بالإيمان . ولشد ما أمضنى القصور الشديد فى قدرتنا على إدراك أى شىء على وجه اليقين ، ومن ثم فضلت موقف النبل المتواضع على موقف الكبرياء الغبى الذى يتخذه اللا أدريون المفترض فيهم الجرأة والاكتفاء الذاتى ، والذين غالبا مايعيشون فى عزلة نفسية جليدية وضيقة .

وبكامل وعيى أسلمت نفسى وفكرى للحقيقة الأرحب ، والتى أحسست بأننى لست سوى جزء صغير منها . أسلمت نفسى لما هو أكبر من كل كبير من البشر : « **الله أكبر كبيرا من كل ما يمكننا أن نتخيله** .

وإذ أقول هذا فإنى لا أريد أن أقود أحدا إلى هذا المنحدر الزلق بمحاولة تعريف الله بصفات بشرية . فتعداد « أسماء الله الحسنى » (٩٩ اسماً) شىء ، والوقوع فى إسار وهم أن هذه الأسماء المجازية التى صيغت بلغتنا البشرية يمكنها أن تصف أو تلخص طبيعته وذاته شىء آخر . وبقدر ما نحن أسرى لمعجمنا الذى وضعناه بأنفسنا ، بقدر ماتبدو قدرتنا ـ حتى بمساعدة الوحى ـ عاجزة عن إدراك سوى لمحات من حقيقة الله الشاملة » .

ومهما قلت فإن هذا ليس سوى قليل من كثير .

نصر للإسلام

بون - ٤ يونيو ١٩٨٣

لقد حدث أفضل ما يمكن أن يحدث للإسلام فى المانيا فى هذه الآونة ، حيث قام أستاذ بروتستانتى فى أصول الدين ،.وهو الدكتور بول شفارتسناو بكتابة مؤلفة (« القرآن - دليل للمسيحيين » ، شتوتجارت - ١٩٨٢) ، والذى اعترف فيه بصدق القرآن حتى عندما يتعارض مع الكتاب المقدس .

ويعترف شفارتسناو ، الذى يدين لكتابات كارل جوستاف يونج فى علم النفس التحليلى ، بأن القرآن قد نجح فى أن يأتى بنماذج أصلية تتفق مع مفهوم « اللا وعى الجماعى » . وقد أدى به هذا إلى أن يؤكد أن القرآن صحيح ، ووحى غير مختلق ، وأنه على الرغم من الأحداث التاريخية الواردة فيه إلا أنه مستقل عن أى سياق تاريخى : لايحده زمان ومتضمن للحقيقة المركزة . وشبه القرآن ببلورة دوارة متعددة تصور نور الله فى انعكاسات لاحصر لها .

وبإيجاز فإن شفارتسناو اهتدى إلى الإيمان بأن الإسلام هو أول دين ، وأول عقيدة للتوحيد ، ومن ثم يعد أقدم ديانة وأكثر الديانات شبابا (وإذا لم يكن هناك أى شىء آخر ، فإن هذا كان كافيا لجعل هذا الأستاذ المسيحى يفهم المسلم على حقيقته) .

كما أن شفارتسناو لم يقبل بطبيعة الحال عقيدة التثليث التى تتضمن

اتحاد المسيح اتحادا ماديا بالرب ، وفى هذا يقول « إن يسوع الذى عرفه التاريخ لم يكن ليتسامح فى تأليه شخصه » .

وفى رأى هذا الخبير أن العهد الجديد قد تعرض للتحريف فى هذا الصدد من خلال الانحراف فى تفسيره إن لم يكن تزويره .

هل كان يمكن أن يحدث للإسلام ماهو أفضل من ذلك هذا العام ؟

النظيف والأنظف والأكثر نظافة

بون ـ ١٦ أغسطس ١٩٨٣

ما من مرة يشعر فيها المرء بالازدراء لشخص ينتمي إلى جنس آخر أو عقيدة أخرى إلا ويكتشف أنه يمكن له أن يميز رائحة هذا الشخص ، أو بالأحرى نتانة العدو .

وهذا هو شعور الألمان بالنسبة للبولنديين واليهود على الرغم من توافر الأدلة ، بما في ذلك الإحصائية منها ، على أن نظافة الألمان تتعلق بنظافة أرصفة الشوارع والنوافذ أكثر مما تتعلق بنظافة أسنانهم .

وفي الوقت الحالي يمارس الألمان قدرا من التمييز العنصري بالنسبة للعمال الأتراك ، حيث ينظرون إليهم باعتبارهم مختلفين عنهم ، ومن ثم موضعا للشبهات . وباختصار يجب أن يكونوا أقذارا .

كما أن الأتراك بدورهم ليسوا محصنين ضد الوقوع في هذا الشرك النفساني نفسه ، حيث يشمخون بأنوفهم عندما يرون هؤلاء السائحين العرب الأثرياء « الأقذار » يحتلون كل المقاعد القريبة من أفخم الفنادق المطلة على مضيق البسفور .

إن وهم الاستعلاء العرقي هذا يبدو مثيرا للسخرية خاصة إذا كان المسلمون هم الهدف ، لأن الإسلام أولى أقصى ما يمكن من اهتمام للنظافة .فحقيقة أن على المسلم أن يصلي خمس مرات في اليوم تعني

أنه يجب عليه أن يغتسل خمس مرات فى اليوم - (وما تغطيه المرأة التركية لرأسها بالوشاح إلا لأنها ينبغى طبقا للشريعة الإسلامية أن تغسل شعرها عدة مرات فى الأسبوع) .

ومن الأمانة أن أقول إنه لم يكن من النادر أن ألتقى بأشخاص زكموا أنفى برائحتهم الكريهة سواء فى أوبرا باريس ، أو فى مركز لينكولن فى نيويورك ، أو فى المسرح القومى فى ميونيخ ولكنى لم أقابل أشخاصا من هذا القبيل قط فى المسجد .

فهل يعنى هذا أن المسلمين هم الأكثر نظافة من بين الألمان ؟

مسلمون ألمان

بون - ١٤ سبتمبر ١٩٨٣

للمرة الثانية تعقد المدرسة الدبلوماسية التابعة للخارجية الألمانية فى بون ندوة عن بعض جوانب الإسلام وكان محمد رسول قد عقد فى ١٩٨٠ مؤتمرا حول هذا الموضوع .

وفى هذا العام ضمت ندوة وزارة الخارجية ثلاثة مسلمين من مواطنيها هم محمد . أ . هوبوم ، ورولف عبدالله برندت ، وكاتب هذه السطور . وقد اعتمدت فى محاضرتى على نسخة من ثانى مؤلفاتى « عن دور الفلسفة الإسلامية » (كولونيا ١٩٨٥ ، إسبن ٣ - ٨٢١٧ - ٠٠٤٣ - ٢) .

وفى أثناء الغداء تسببنا فى إثارة بعض الحرج عندما رفضنا تناول لحم الخنزير .

ألا يزال الناس هنا على جهلهم بأن تناول لحم الخنزير لايعتبر ضارا فحسب إذا كان اللحم مصابا بدودة الخنزير ، وإنما يتسبب أيضا فى زيادة نسبة الكولسترول ، وإبطاء إيقاع عمليات التمثيل الغذائى فى الجسم (مع ما يترتب على ذلك من خطر الإصابة بسرطان الأمعاء) ، كما يتسبب أيضا فى ظهور الدمامل والإصابة بالإكزيما والروماتيزم ؟ ألا يكفى أن نعرف أن فيروسات الأنفلونزا الخطيرة تعيش أثناء الصيف بفضل كرم وفادة الخنزير لها ؟

وبعد ، فإنه فى عام ١٩٨٥ ، ومع تربية ٨٠ مليون خنزير ، وصل إنتاج لحم الخنزير إلى أعلى معدل له فى تاريخه فى دول السوق الأوروبية المشتركة .

وإذا ما أضرب المرء عن تناول لحم الخنزير لفترة من الوقت ، فلسوف يصاب بالتقزز وربما بالغثيان من رائحة هذا اللحم . وإذا ماتناول المرء لحم الخنزير الدسم عفوا فمن المحتمل أن يصاب بألم فى معدته .

أليس من الغريب أن يتوقع « محمد » الأمى ، والمحروم من التعليم ، والذى عاش فى بيئة متخلفة كل ذلك ؟ .. لاريب فى أنه كان لدية راوية أريب ....

خدعة لغوية

بون - ١٩ نوفمبر ١٩٨٣

كثيرا ما يُرمى الأصوليون المسلمون بأنهم من هواة المماحكة والجدل اللغوى والتشدد فى التفسير الحرفى للقرآن . ومع ذلك فإن الزعم بأن الأصوليين يتجاهلون ببساطة حقيقة أن جزءا كبيرا من القرآن لايمكن فهمه حرفيا هو افتراء محض . فهم يعلمون حق العلم أن الحقيقة الميتافيزيقية لاتصل الينا ، اذا ما وصلت اصلا ، إلا فى صور لغوية مستمدة من إدراكنا الحسى المحدود للغاية .

إن الاعتراف بأن الفقرات المتعلقة بالأمور الكونية وبأصول الدين فى القرآن لابد وأن تكون مجازية بطبيعتها شيء ، أما التوهم بأن أى شخص يمكنه أن يفهم يقينا هذه الأمور المجازية التى جاء بها الوحى فهو شيء آخر . حيث ينكر الأصوليون بشكل قاطع قيام هذا الاحتمال .

لقد أصبح من المعلوم الآن ، بفضل رواد التحليل اللغوى من أمثال فرتيز موتنر ، ولودفيج فيتجنشتين أن كل تفكيرنا وأحلامنا ومشاعرنا ، بما فى ذلك تلك التى تأتى عن طريق الحدس أو الإلهام ، إنما تتم - إذا ما حدث ذلك - داخل الأطر والتداعيات التى تحددها لغاتنا . ومن ثم فليس ثمة شك فى أن أية كلمة من كلمات اللغة ، حتى تلك التى نطلق عليها مصطلحا « مجردا » هى نتاج لإدراكنا الحسى منقول إلى قاموسنا اللغوى . وهكذا لا يمكننا قول ما لا نستطيع أن نتصوره ، أو أن نفكر

فيما لانستطيع قوله . وكلا هذين النشاطين يتمحوران حول « الحقيقة » التى نصل إليها بادراكنا الحسى .

وعلى ضوء هذه الخلفية يؤمن الأصوليون بأن الحقائق الميتافيزيقية لايمكن أن تنقل - كجزء من الوحى - إلا فى صورة مجازية ، وأنه ليس هناك وسيلة موثوقة سواء من خلال المنطق أو التصوف ، للنفاذ إلى ما وراء الصور الواردة فى نصوص الوحى .

صفوة القول أنه إذا كان من دلائل الذكاء احترام الحدود الضيقة للإدراك الحسى عند الإنسان - كما يذهب إلى ذلك العلماء المعاصرون - فلا يمكن أن يكون من دلائل الغباء التزام المرء بنفس الشك الحذر إزاء أى تفسير ميتافيزيقى للقرآن كما يفعل الأصوليون .

وفى مواجهة مشكلة تبديد الغموض والتضاد والرموز التى تحوط بعض النصوص القرآنية ، فإن الأصوليين - بأسلوب فلسفى - هم ناقدون بصورة مطلقة للغيبيات واللا أدريين المتدينين ودعاة مذهب الاسمانية المتشككين(١) . وإنما يعترفون بأن المعالجة الفلسفية ، والرؤى الصوفية للمسائل الميتافيزيقية لا تعدو أن تكون - نتيجة لقصور معجمنا اللغوى - مجرد لغو .

وإذا ما حكمنا على الأصوليين من هذه الزاوية ، ألا يعدون بحق بعيدى النظر ، واضحى الرؤية ، ومتحلين بالحكمة ؟

---

(١) الإسمانية مذهب فلسفى يقول بأن المفاهيم المجردة ، أو الكليات ليس لها وجود حقيقى ، وإنما هى مجرد أسماء ليس إلا . (المترجم)

شيء غريب في هذا الأمر

بون - ٢٩ ديسمبر ١٩٨٣

كم من شخص حاول أن يتتبع حياة محمد (ﷺ) **وسيرته** فيما بين عامى ٥٧٠ و٦٣٢ ميلادية .

وفى هذا الصدد نجد أمامنا كتابين من أفضل كتب السيرة ، أولهما كتاب تقليدى هو « سيرة رسول الله » لإبن إسحاق الذى حققه ابن هشام حوالى عام ٢٠٠ هجرية (ترجمة أ . جويوم ، أوكسفورد ١٩٥٥) ، والآخر كتاب حديث هو « محمد ، حياته مستقاة من أقدم المصادر » (نيويورك ١٩٨٣) لمارتن لنجز .

وإذا ما تحررنا من تأثير النزعة إلى الحكم على المسائل باعتبارها معجزات ، وكذلك من مقتضيات الولاء السياسى فسوف يظهر لنا محمد (ﷺ) ، من خلال هذه المصادر ، كشخصية سياسية محنكة تتمتع بكاريزما طاغية ، وقوة إرادة ، ومهارة تكتيكية .

فلقد أثبت خلال الفترة الواقعة مابين هجرته إلى المدينة ، وفتحه السلمى لمكة بعد ذلك بعقد من الزمان ، أنه عسكرى فذ لايقل مرتبة عن كارل فون كلاوزفتز .[1] .

---

(١) كارل فون كلاوزفتز قائد ومنظر عسكرى بروسى ، كان مديرا للمدرسة الحربية فى برلين ، يحظى كتابه « عن الحرب » بمكانة رفيعة ، ويعتبر مرجعا أساسيا . (المترجم)

حيث استطاع محمد (ﷺ) أن يطبق بذكاء قواعد الحرب الاقتصادية والنفسية ، وأن يستخدم مفاوضات الحد من التسلح كأداة للسياسة الخارجية .

وكان قبوله للهدنة فى الحديبية ، والذى أثار مخاوف أصحابه ، مناورة دبلوماسية من الطراز الأول ، إذ سرعان ما أدرك أهل مكة أنهم قد وقّعوا بأنفسهم على صك استسلامهم مستقبلا .

وبنفس البراعة أملى محمد (ﷺ) دستور وحدة المدينة ليكون بمثابة معاهدة فيدرالية بين المجتمعين المسلم واليهودى .

وإذا ما أخذ المرء فى اعتباره النجاح الذى حققه محمد (ﷺ) فى التجارة ، وحكمته كقاض ومحكم ، وقدرته الخطابية وبلاغته ، فإن المرء سرعان ما يجد نفسه عاجزا عن تفسير كيف تسنى لهذا العربى ، المحروم من التعليم ، الأمى ، والذى ينتمى إلى مجتمع متخلف ، أن يتمتع بكل هذه الصفات ؟ .

هناك شيىء غريب فى هذا الأمر .

هناك شيىء إلهى فى هذا الأمر .

التعددية فى الإسلام

لوتزلباخ - ١٦ فبراير ١٩٨٤

مضى عام منذ أن نشر أحمد فون دنفر كتابه « رسائل إلى إخوتى » ، متضمنا اثنى عشرة رسالة ، وتحت عنوان فرعى « نحو مجتمع مسلم » . قرن فيه بين نداء حار للالتزام بتعاليم الإسلام - إعطاء أولوية حقيقية للعقيدة الدينية - وبين اقتراحات محددة عن كيفية الوصول بالفرد ، خطوة خطوة ، إلى مرتبة الكمال داخل مجتمع إسلامى وثيق العرى (والذى يمكن أن يطلق عليه الأخوة الإسلامية) .

وكان الموضوع الذى ركز عليه أحمد ، كما جاء فى مواضع عديدة من القرآن ، متعلقا بظاهرة النفاق .

ولهذه المبادرات جذور عميقة ، فعلى امتداد التاريخ الإسلامى ، أنشأ الشباب المسلم جمعيات « للفضيلة » سرية تعتمد على « الكتمان » عادة وتستند إلى نظام الطوائف (الفتوة) .

وبسبب القصور الإنسانى ، وتأصل نزعة الأنانية لم يكن سهلا على الإطلاق تحقيق تقدم فى المجال الدينى فى الوقت الذى نجح فيه إجنايتوس الليولى وفلاديمير ايليتش لينين فى أن يبهر العالم من خلال خلق الكوادر .

إن زيادة فرص الإسلام فى الغرب لاتتوقف فقط على الالتزام الكامل

من قبل القلة بتعاليم الدين ، وإنما تتطلب أكثر من ذلك مهارات تنظيمية وخاصة بالإعاشة والتنظيم والنقل .

واليوم نلتقى فى حلقة صغيرة « بدار الإسلام » فى قرية صغيرة من أعمال ولاية « هس » الواقعة فى جنوب فرانكفورت لمناقشة كيفية أن نحظى باعتراف رسمى بالإسلام فى المانيا .

ومثل هذا الاعتراف يعتبر شرطا ضروريا لتعليم الإسلام فى المدارس ، ولجمع ضرائب مماثلة لـ « ضرائب الكنيسة » من خلال الإدارة المالية للدولة .

ويتطلب تحقيق هذا الشرط الضرورى أن يتحدث الإسلام فى المانيا بصوت واحد .

وليس للمرء أن يخطىء فهم رغبة السلطات الألمانية فى التعامل مع محاور واحد قوى .

وهنا تكمن المشكلة !

فالمسلمون (مثل العرب) يمثلون طوائف شديدة الحرص على استقلاليتها ، ويمارسون التعددية على نحو لايمكن لأية كنيسة أن تسمح به أو أن تستمر فى ظلة . وربما كان هذا التباين ناجما عن أن الإسلام لا يعرف ممارسة تلك الطقوس المقدسة ، مثل تلك القائمة فى المسيحية ، وما تتطلبه من قساوسة وأساقفة (فقد استخدمت ممارسة الطقوس المقدسة والمناصب الكهنوتية فى أحيان كثيرة لتعزيز الوحدة والانضباط) .

ولقد أبدى الإسلام ، حتى فى ظل نظام **الخلافة** (حتى وقت قصير بعد الحرب العالمية الثانية) ، تسامحا كبيرا فى قضايا التفسير الشرعى والمتعلق بأصول الدين .

ولابد أن حظر طرد المسلم من حظيرة الإسلام مادام قد أعلن تمسكه بمبادىء الإسلام الأساسية ، واعترف بإسلامه ، كان من بين العوامل المهمة التى أدت إلى خلق هذا الموقف .

ولهذا السبب نجد أنه من النادر أن يحظر رسميا نشاط طائفة تنتمى إلى الإسلام ، مثلما حدث لطائفة الأحمدية فى باكستان .

وينظر المسلمون دائما إلى تنوعهم الشديد هذا باعتباره مصدر قوة لامصدر ضعف . ومن هنا جاءت **مذاهبهم** الشرعية الأربعة ، وطرقهم الصوفية (مثل القادرية والبكتاشية والنقشبندية) ، وطوائفهم الدينية (مثل الشيعة بفروعها المختلفة) .

وفى الغرب يزداد انقسام المسلمين إلى جماعات على أساس انتماءاتهم الاثنية واللغوية . وكانت النتيجة خليطا متنافرا من المنظمات والثقافات والعقائد الإسلامية تحت قبة الإسلام الكبيرة .

وإذا ما قدِّر لهذه الجماعات المتشرذمة كلها أن تأخذ بنصيحة أحمد دنفر ، فسرعان ماسيدرك المسلمون فى كافة دول أوروبا وأمريكا الشمالية أنهم يركبون نفس القارب ، ويجدفون فى نفس الاتجاه ، جميعهم معا .

النبى الأمريكى

واشنطن ـ العاصمة ـ ٢٦ مايو ١٩٨٤

فى أثناء انعقاد مؤتمر الربيع لوزراء خارجية منظمة حلف شمال الأطلنطى ، أقمنا فى فندق ماريوت فى واشنطن ، والمملوك لعائلة مورمونية(١) . ولهذا السبب كان وجود « كتاب المورمون لكنيسة يسوع المسيح للقديسين المعاصرين » فى درج المنضدة المجاورة لكل فراش . ومن المفروض أن نصوصه المكتوبة » بلغة توراتية ، وجدها جوزيف سميث ، من دون الأماكن جميعا ، فى الميرا فى نيويورك فى ١٨٣٠ ، ومنسوخة ، من دون الاشياء جميعا ، على صحائف ذهبية (اختفت لتوها فور كتابتها) .

واليوم نجد عدة ملايين من الناس يؤمنون بهذا « الوحى الأمريكى » ، مضيفين بذلك دليلا جديدا على أنه ما من شيء يمكن أن يكون بالغ التفاهة إلا وجد من يؤمن به .

وليس لنا بطبيعة الحال أن نقارن بين الإسلام الحنيف وبين تلك القصص الخيالية ، وما كان للإسلام أن يكون فى موضع هذه المقارنة .

---

(١)المورمون طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سميث فى ١٨٣٠ ، أباحت فى فترة من تاريخها تعدد الزوجات . (المترجم)

وأعدت الكتاب إلى مكانه فى الدرج ، وفردت سجادة صلاتى المشتراة من قونية ، وأديت صلاة العشاء قبل أن أستغرق فى نوم عميق بسبب الإنهاك الذى أصابنى بعد عشر ساعات طيران بين القارات .

الختان

اسطنبول - ٩ يوليو ١٩٨٤

إن إجراء عملية ختان لرجل كبير ليست أمرا هينا ، حتى لو أجراها جراح فى مستشفى حديث فى نيسنتاس .

ومع هذا فإن للختان مدلولا رمزيا عميقا يحمل المرء عبر سلسلة زمنية طويلة تعود به إلى عهد النبى إبراهيم منذ ٣٠٠٠ عام تقريبا . ويمثل اعتناق الإسلام ، قرارا لارجعة فيه ، شأنه فى ذلك شأن النتائج الجسمانية المترتبة على إجراء الختان ، والتى لاحيلة للمرء فى تعديلها .

ولم يحظ الختان حتى بمجرد إشارة فىّ القرآن ، وإنما هو مجرد عرف استنته التوراة ، وجرت عليها **السُنّة** فى الإسلام فى إطار العادات الصحية الحميدة للفرد مثل قص الشعر وتقليم الأظافر .

ومن ثم فإنه لمن المؤكد تماما أن انتشار عادة الختان له جذور ممتدة أعمق كثيرا .

ولاتعدو أن تكون المبررات التى يقدمها الآباء المعاصرون لختان أبنائهم / من أسباب عملية وصحية وجنسية - سوى مبررات ظاهرية .

الخزعبلات

اسطنبول - ١٥ يوليو ١٩٨٤

على الرغم من عداء الإسلام لكل أشكال الخزعبلات ، إلا أنه لابد وأن يكون المرء واهما إذا ما اعتقد أن البلدان الإسلامية لم تعرف العين الشريرة (الحاسدة) ، والقوى السحرية ، والساحرات النفّاثات فى العقد المشار إليهن فى سورة الفلق .

إن تحريم القرآن للرجم بالغيب لم يضعف من عادة قراءة طالع المرء من قاع فنجان القهوة ، والتى يكاد الناس يؤمنون بجدواها .

ومع أن كثيرين من الأتراك المستنيرين قد ابتعدوا عن الإسلام ، إلا أنهم لم يتخلصوا من ضعفهم وحساسيتهم فى مواجهة الممارسات الخرافية ، مؤكدين بذلك صحة القول بأنه « حيث يغيب الإيمان توجد الخرافات » .

ومن الغريب أن بعض الممارسات ، والتى تقترب من السحر ، قد تسللت إلى بنية الإسلام نفسه نتيجة للدور المزدوج الذى تلعبه سورة « يس » حيث انه من المعتقد ان تلاوتها ، خاصة بواسطة قارىء سواء بالنسبة للحى أو الميت ، لها فائدة أكيدة . ولكن كيف يكون الحال إذا ما علق المرء هذه السورة ، أو أى نص آخر من القرآن كتعويذة ؟ ألا تعتبر هذه الحيطة فى مواجهة القدر بمثابة سلاح ضد المشيئة الإلٓهية ؟

وفى تركيا توجد بعض النسوة اللاتى يخمّرن اللبن المقروء عليه

سورة « يس » باعتباره شافيا ، أو محصنا ضد الحسد (العين الشريرة) .

والمرء ميال بطبيعته على نحو لايعرف الكلل للتلاعب بقدره وبأقدار غيره ، ولمعرفة المستقبل ، ولتسخير القوى (الغيبية) لخدمته .

وإنه لمن المؤسف أن الإسلام لم يستطع بعد أن يقضى على هذه المثالب . وهل كان من الواجب أن يكرر القرآن أكثر مما فعل بأنه ليس هناك من عنده علم الساعة ، وأن الله هو الذى يجازى ويعاقب بإرادته ، وأنه لاشفيع عنده إلا بإذنه ؟

هل ينظر البعض إلى الدين الإسلامى باعتباره مسرفا فى عقلانيته ؟

هل حنَّ بعض المسلمين إلى رؤية إله بيزنظى مصور على خلفية من الفسيفساء الذهبى ؟

أو إله مصلوب يستطيعون لمسه ؟

أو إله طفل يرقد فى المذود ؟

أعوذ بالله !

الاستغفار عند الانتصار

روما - ١٥ أكتوبر ١٩٨٤

أثناء عودتى من محاضرة ألقيتها فى كلية الدفاع التابعة لمنظمة حلف شمال الأطلنطى (الناتو) عن « الرأى العام والدفاع » ، وجدت لدىّ متسعا من الوقت فى مطار فيوميشينو لتعلم سورة النصر (رقم ١١٠ من القرآن) . كنت قد عرفت النص العربى ومعناه بيد أننى خشيت أن يخون ذاكرتى النطق السليم ، ومن ثم بادرت رجلا يرتدى الطربوش التونسى فى صالة الرحيل بتحية « **السلام عليكم** » .

وحالما أدرك بغيتى بدأ يتلو لى سورة النصر : « إذا جاء نصر الله والفتح ....» ، وكأنما كان فى انتظار هذا الطلب منى .

وطبقا لنص الآية الأخيرة من هذه السورة يأمر الله (سبحانه وتعالى) المسلمين ألا يتملكهم الزهو ساعة النصر ، وإنما أن يلتمسوا المغفرة من ربهم فى خضوع .

ياله من مبدأ مدهش ! ولشد ما كان التاريخ الدبلوماسى سوف يصبح مختلفا لو أن رجال السياسة كانوا أكثر التزاما بهذه النصيحة : ألم يكن من الممكن تجنب قيام الحرب العالمية الثانية لو أن كليمنصو وبوانكاريه قد التزما فى عام ١٩١٩ بما جاء فى سورة النصر ، بدلا من أن تستبد بهما مشاعر الكراهية والرغبة فى الانتقام من ألمانيا ؟

ملحمة العلّامة ديونيسيوس

لندن - ٢٤ أكتوبر ١٩٨٤

لم يستمد عمي هوجو بول ، مؤسس « الدادية »[١] في زيورخ إبان الحرب العالمية الأولى ، شهرته بصفته مبتدعا للشعر الذى يعتمد على الجرس الخالص فحسب ، وإنما أيضا من دراساته النقدية الثاقبة للمجتمع في الماضي والحاضر ، ومن مؤلفاته : « **فى نقد الطبقة المثقفة الألمانية** » (برن ١٩١٩) ، و « **نتائج الإصلاح** » - (ميونيخ ١٩٢٤) .. ، و « **الهروب من الزمن** » - ميونيخ ١٩٢٧) .

ومما يذكر له أيضا إسهامه القيم فى علم أصول الدين بكتابه « **المسيحية البيزنطية** » المنشور فى عام ١٩٢٣ فى ميونيخ (الطبعة الثانية فى عام ١٩٧٩) .

ويدور هذا الكتاب حول العلامة ديونيسيوس ، هذا القديس الغريب الأطوار مؤلف لاهوت الملائكة ، والذى اعتبره الناس فى العصور الوسطى ، معاصرا للقديس بطرس ، وبالتالى شاهدا على نشأة المسيحية . لهذا السبب وبسبب الحجية التى اكتسبتها كتاباته ، فقد حظيت لدى القديس توماس الأكوينى بمصداقية تامة .

---

(١) الدادية مذهب فى الفن والأدب انتشر فى سويسرا وفرنسا حوالى ١٩١٦ - ١٩٢٠ ، وهو يتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصا من القيود التقليدية . (المترجم)

وبينما تضاءلت معرفتنا اليوم بشخصية ديونيسيوس (ومن ثم أُطلق عليه « ديونيسيوس المزعوم » ، فقد زاد علمنا اليوم بمصادر **كتاباته** بأكثر مما أتيح للقديس توماس الأكويني . وأيا كان ديونيسيوس هذا ، فإنه لم يعش قبل نهاية القرن الخامس وأوائل القرن السادس ، وكان شديد التأثر ببروكلوس إلى الحد الذى أصبح فيه من أنصار الأفلاطونية الجديدة والتزم بالنهج الغنوسطى .

ولقد توارى مؤلف ديونيسيوس - « اللاهوت الباطنى » والذى تضمن تأملاته فى البنيان الطبقى للكون - والذى بادرت الكنيسة بقبوله بين تعاليمها الأولى على مر نحو ٦٠٠ عام بعد المسيح .

ولديونيسيوس - باعتباره **صوفيا** إغريقيا - أهمية خاصة بالنسبة لدارسى العقيدة الاسلامية إذا ما رغبوا فى الوقوف على بعض جوانب الصوفية الإسلامية والمذهب الشيعى ، وخاصة بالنسبة للمفاهيم المتعلقة بالنور و « الإلهام » ، و « الرب الأعلى » ، و« الوجد الصوفى » ، و« الاتحاد بالله » .

وتكريما لديونيسيوس نذكر أنه قال فى خطابه الأول إلى جايوس : « إن التصور الحقيقى لله هو تسليم بعدم القدرة على تصوره » ، وأنه « إذا زعم شخص ما بأنه قد رأى الله ، وأنه قد استطاع أن يفهم ما رأى فإنه لم يره هو نفسه (أى الله) ، لأن ذاته (جل جلاله) أبعد من متناول كل إدراك ، ومن كل وجود ، فهو يستعصى على المعرفة ، وعلى الوقوف على كينونته لأنه أسمى من كل كائن ... ومن ثم فإن عدم القدرة التامة على تصوره هو التصور الحقيقى له » .

وتمكن هوجو بول من إثبات أن ديونيسيوس قد عالج العديد من النظريات والمفاهيم المستقاة من السحر من النظرية الغنوسطية ، والإيمان بالقوة الخفية وإخضاعها لسيطرة البشر ، ومن طقوس عبادة

النور الفارسية ، الشبيهة بالعبادات السرية العريقة ، التى تروج لنظريات كونية غريبة خاصة ما تعلق منها بطبيعة الملائكة ومنزلتهم ، وعددهم ، ووظائفهم وتسلسلهم الهرمى .

وتركت هذه الآراء بصماتها على العالم المسيحى حتى يومنا هذا ، لاسيما فى انطلاقها من فرضية أن المادة بصفة عامة والجانب الحسى ، فى الإنسان ، بصفة خاصة ، يمثلان الجانب المنحط بل والشرير فيه . وكانت هذه النظرية المانوية ، وإضفاء طابع شيطانى على العالم ، بمثابة المنطلق لتصور معارج أعلى لمراتب أسمى يمكن أن يصعد الإنسان إليها نحو الخلاص والقداسة .

إن كل هذه النظريات جد قريبة من التفسيرات التى قدمها أبو حامد الغزالى على اساس سورة النور فى القرآن (الآية ٣٥) وكان هذا العالم نفسه هو « نور » القرن الحادى عشر .

وهناك الكثيرون الذين يذكرون لهذا الفيلسوف ـ المتعدد المواهب كرجل قانون وعالم فى أصول الدين ـ كتابه المفند للفكر الميتافيزيقى « **تهافت الفلاسفة** » ، والمقوِّم « **إحياء علوم الدين** » ، والرصين والعقلانى « اعترافات » . ويدل كتابه « **مشكاة النور** » على أن الغزالى كان صوفيا أيضا .

واليوم ، وبعد لأى ، وجدت هذا الكتاب بفضل معرض الكتب الإسلامية فى لندن فى شارع « سفن سيسترز رود » ، فى ترجمته الإنجليزية التى قام بها و . جيردنر ، حيث التهمته التهاما وأنا فى انتظار رحلة العودة فى مطار « هيثرو » .

وقد تمكن الغزالى من خلال تعويله الشديد على آراء الغنوسطية ،

وكذلك آراء الأفلاطونية الجديدة الشبيهة بفكر ديونيسيوس المستعار ، من تفسير العديد من الكلمات المبهمة والغامضة فى القرآن .

ومن قبيل ذلك « **الروح** » : فهل يفهم منها أنها النفس ، أو مخلوق روحانى ، أو الهام إلهى ، أو أنها تجسدت باعتبارها الروح القدس ؟

و « **المطاع** » : فهل هو جبريل ، وهو عند إفلاطون خالق الكون المادى (بمعنى المنفذ لأمر الله فى خلق الكون ، وليس القادر على الخلق ذاته) ، أو الفيض الأول ؟

و« الكلمة » : يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفى « كلمة » ، أو باعتبارها تجسيدا لكلمة الله ، روح العالم ، ومن ثم الفيض .

و« الأمر » : هل المقصود به أمر الله أو أمر المحرك الأول بخلق العالم بإذن من الله ؟

و« النور » : هل هو النور بمعناه الحرفى ، أو بمعنى الله ذاته (جل جلاله) ، أو محمد (ﷺ) ، أو خالق الكون المادى عند الأفلاطونية الجديدة ؟

وفى هذه المحاولات لتفسير المصطلحات القرآنية ، يتكرر ظهور فكرة الخلق المادى للكون ، وليس هذا من قبيل المصادفة ، وإنما تبدو هذه الفكرة محورية فى المذهبين الغنوسطى والأفلاطونى الجديد فى محاولة تصور الله (سبحانه وتعالى) بإعتباره الأعظم ، الذى لا يتبدل ، والأسمى عن الانشغال بعملية الخلق ذاتها وإنما يعهد بها إلى مستوى أدنى منه « المحرك الأول » .

ولا يتطلب الأمر كثيرا من الخيال لإدراك أن الرؤى الباطنية للغزالى ـ من خلال تمحيص هذا الجانب من علم الكونيات ـ قد حملته

قريبا من مفهوم« ابن الله » ، أى ما يوشك على الاجتراء على أهم مبادىء الإسلام وهو **التوحيد** ، أى الجزم بوحدة الله ووحدانيته .

ولقد بدا الغزالى لفترة من الوقت وكأنه قد أغفل قاعدة أساسية فى تفسير المصطلحات القرآنية ، وهى تلك المشار إليها فى الآية السابعة من سورة « آل عمران » حيث يقول الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله .... » .

وإذا ما أخبرتنى عن العلاقة بين الصوفى المسلم ، ومعتنق الأفلاطونية الجديدة الإغريقية الفارسية ، والمؤمن بالغنوسطية فلسوف أخبرك عما أعتقده فى آراء كل منهم .

اعتقدوا أنى كنت أمزح

بروكسل ـ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤

قمت اليوم ، باعتبارى رئيسا للمؤتمر السنوى « للناتو » لمديرى الإعلام بوزارات الدفاع ، بعمل عرض تحليلى للمشاركين عن اتجاهات الرأى العام فى المدى المتوسط .

ولقد حاولت أن أضع إصبعى على أعراض التحول التدريجى فى الوعى ، وخاصة بين أفراد الجيل القادم . حيث قدرت أن الكثيرين من بينهم يتمسكون بأهداب المثالية وتتسم نزعتهم الأخلاقية بالتشاؤم ، ويشجعون قيم عصر ما بعد المادية ، وقد كشفوا عن حاجتهم الملحة إلى التكاتف ، وعن استعدادهم للانقياد عاطفيا للقيادات القوية . ويظهر استعدادهم للاستسلام واضحا بجلاء فى أى حفل موسيقى يؤدون خلاله رقصة « الروك آند رول » .

ووصفت معظم هؤلاء الشباب بأنهم محبطون ومتبلدون عاطفيا ـ وقد تزعزعت ثقتهم فى الديموقراطية المطبقة ، ومؤسسات الدولة ، والسلطات العامة والخاصة بصفة عامة ، وأنه لهذه الأسباب وغيرها تحوط نظرتهم للمستقبل شكوك خطيرة .

وأشرت خلال عرضى إلى أن هذه الظواهر ليست سوى قمة لجبل جليدى ، تختفى تحته تفسخات اجتماعية وثقافية تنبأ بها منذ وقت طويل المراقبون اليقظون من علماء الاجتماع فى جامعة هارفارد من أمثال

دانيل بل فى كتابه « التناقضات الثقافية للرأسمالية » ، والبروفسيور البلجيكى ليو مولان فى كتابه « **المغامرة الأوروبية** » .

وإنى لأؤيد ما جاء فى تحليلاتهم عن المرحلة الحالية من الانفجار العلمى والتوسع التكنولوجى ، والتى جاء فيها : إن المجتمع الغربى الذى يتميز بالديموقراطية التعددية ، وحكم القانون ، والتوجه التكنولوجى - أى المجتمع الذى وصل إلى مرحلة التصنيع الكامل والسوق الرأسمالية - إنما يدين بتطوره لاحترام القيم اليهودية - المسيحية ، وتطبيقها على النحو الذى صاغتها به المؤثرات الإنسانية والليبرالية . وتجد هذه القيم أصولها الأولى فى المعتقدات والنظريات الدينية من على شاكلة وحدة الروح الإنسانية ، والأخوة فى المسيح ، ووصية الله بحرث الأرض - وكذلك فى الفضائل مثل الكد ، والاقتصاد ، والمسرة الآجلة .

ويبدو من الواضح الآن أن التقدم الاقتصادى فى الغرب يكاد ينسف أو يسمم نفسه كلما حقق المزيد من النجاح - إذ كلما ارتفع مستوى المعيشة وازداد الرخاء العام ، اتجه هذا النظام نحو تقويض الأسس التى تمكنت حتى الآن من تثبيت دعائمه .

وفى هذه العملية تتجه القيم العريقة نحو الانحراف ، ويمكن أن تتحول الفردية إلى النرجسية ، وتقرير المصير إلى فوضى ، والتسامح إلى تحييد للقيم ، والمرونة إلى نبذ للتقاليد ، والرخاء إلى عبادة المتعة ، والكد إلى الإفراط فى الاستهلاك ، والاقتصاد إلى إدمان للعمل والتنافس إلى تسابق دام ، والحساسية إلى وسوسة ، والأخوة إلى شمولية ، والمساواة إلى التدنى ، والثقة فى الله إلى عقلية تفتقر إلى المبادرة .

صفوة القول أنى قمت بشرح أعراض التداعى الهيكلى الزاحف على العالم الغربى ، وتساءلت عما إذا كانت آليات ديموقراطيتنا تتمتع

بالمرونة اللازمة لمواجهة هذه المتغيرات ؟ - أم أن الغرب قد يقع ضحية لما يتمتع به من مرونة ؟

وإذ عجز مديرو الإعلام البواسل المتحلقون حول المائدة عن الإجابة ، فقد استولى عليهم صمت طويل حرج . حيث إنهم لم يعدوا أنفسهم لسماع تحليل عن مشاكل العلاقات العامة ، يتخذ من تسليط الضوء على التدهور الدينى فى الغرب موضوعا رئيسيا له .

واستجمع أحد المندوبين شجاعته ، وسأل عما إذا كانت هناك فرصة لحدوث صحوة دينية فى الغرب ؟ وأجبته أنى لا أرى هناك فرصة يمكن للكنائس المسيحية الحالية أن تنتهزها لاستعادة مصداقيتها بين معظم الشباب . كما نفيت إمكانية صياغة أيديولوجية غربية جديدة تعتمد على الآليات السوسيولوجية البحتة وحدها . وأضفت : « وكما أثبت ما تدعى بكنائس الشباب السرية ، وفرق الشباب ، فإن هذا الجيل يشعر بحاجته الملحة إلى مقومات أيديولوجية ودينية . ولايزال هذا الاحتمال ضائعا فى وقتنا الحاضر - إذ لا يزال الشباب متأرجحا ما بين بدائل الماركسية ومذهب الخضر ، والباجواش . ومع ذلك فليس من المستبعد أن تجد هذه الحاجة الملحة إلى الالتزام الدينى والرضا الدينى ضالتها فى اعتناق دين غير أوروبى مختلف تماما يروق للشباب ، حيث يجدون فيه ترياقا شافيا من شرور المادية ، وتوثيقا لعرى الأخوة ، وتخلصا من الطبقة السلطوية الدينية ، وقادرا بطبيعته على أن يكون دين الفطرة : « أى الإسلام » .

لقد اعتبر المستمعون ماقلته بمثابة مزحة ، بيد أننى لم أكن أمزح .

لوتز لباخ - ٢٤ ديسمبر ١٩٨٤ .

اجتمع الشباب الألمانى المسلم الذى اعتنق الإسلام حديثاً فى « دار الإسلام » ترقباً للرحيل إلى مكة لأداء العمرة . كان الجو متوتراً لأن السفارة السعودية كانت لم تصرح بعد بمنح تأشيرات الدخول لبعض سيدات المجموعة ، حيث كن غير متزوجات أو مصحوبات بقريب مقرب (محرم) ، لأن أباءهن واخواتهن لم يعتنقوا الإسلام (بعد) .

وقد جرى العمل فى وزارة الخارجية السعودية على رفض دخول النساء العزاب ، خوفاً من تدفق الفتيات العزاب وراء شبابها الثرى .

وكذلك لأن تعاليم الشريعة الإسلامية المنظمة للعمرة والحج لاتبيح مشاركة النساء العزاب ، ما لم يكنّ مصحوبات بأقارب مقربين (محارم) . وكان لهذه القاعدة ما يبررها على ضوء الصعاب المتعلقة بالانتقال وبالإعاشة والمناخ أثناء الحج . أما فى ظل الظروف الحالية ، فقد فقدت هذه القاعدة أهم أركانها (حيث لم يكن بوسع الفقهاء المسلمين فى القرون الغابرة أن يتصوروا حالة وجود حاجّة تكون هى المسلمة الوحيدة فى أسرتها كلها !) .

وقد تمكنت الخارجية السعودية بفضل مساعى محمد صديق الدؤوبة ، وهو إمام يحمل الجنسية الألمانية تعلم فى المدينة ، من إيجاد مخرج من هذا المأزق حيث سمح لبعض الحاجات العجائز ، بعد بعض التأخير ، باللحاق بالجماعة فى مكة .

ولا يعتقد غير المسلمين عادة فى إمكانية السماح للنساء بدخول المساجد أو الحج . بل إن المرء قد يقابل أحياناً من يصدقون القصص الخرافية عن إفتقار النساء المسلمات للحيوية والنشاط .

ما أشد بعد الإنسان عن الحقيقة !

ولكم يبدو غريباً أن تظل هذه الأساطير باقية فى مواجهة الدليل الناصع على خطئها !

إن المرأة فى الإسلام لاتتمتع بالحيوية فحسب ، بل وتقف على قدم المساواة فى وضعها الدينى مع الرجل ، ومن ثم يجب عليها – إذا ما كان ذلك ممكناً – أن تؤدى مناسك الحج . وإذا كان من الصحيح أن النساء لايختلطن بالرجال أثناء أدائهن لفريضة الصلاة فى المساجد ، إلا أن هذا الوضع يشبه تماماً وضع الكاثوليكيات اللاتى يجلسن فى صفوف الجانب الأيسر فقط من مقاعد الكنيسة أثناء حضورهن للقداس .

وطبقاً لمؤلف دافيد لونج « الحج اليوم » (ألبانى ، نيويورك ١٩٧٩) ، فإنه فى عام ١٩٧٢ بلغ عدد الحجاج إلى مكة ٤٧٩٣٣٩ حاجًّا من بينهم ١٧٠٨٦٤ ، أو مايعادل ٣٤,٦٪ ، من النساء .

وفى غير ذلك من المجالات ، تمتعت النساء بمقتضى الشريعة الإسلامية خلال الـ ١٤٠٠ عام الماضية بوضع قانونى لم تحصل عليه شقيقاتهن الأوروبيات إلا بشق الأنفس فى القرن العشرين .

وعلى سبيل المثال فإن الزواج ، طبقاً **للفقه** الإسلامى ، ليس له أية آثار سلبية على حقوق الملكية بالنسبة للزوجة ، ذلك أنها هى ، وهى وحدها فقط ، المخولة بالإستمرار فى إدارة ما كانت تمتلكه قبل الزواج ، والتصرف فيه على النحو الذى تجده مناسباً . أن الفصل بين ممتلكات الزوجين (بدلاً من وصاية الزوج) الذى يعتبر إنجازاً حديثاً

فى أوروبا ـ كان يمثل الوضع القانونى لعهد طويل فى ظل الشريعة الإسلامية .

وإذا كان من الصحيح أن الأبناء الذكور يحصلون على نسبة أكبر من الإناث فى الميراث ، فإن الأزواج هم وحدهم المكلفون بإعالة أسرهم بأكملها . وإذا ماعزفت المسلمة عن إرضاع وليدها ، فإنه يمكنها إجبار زوجها على أن يستأجر مرضعة . وهى صاحبة الكلمة الأخيرة فى تربية طفلها .

كما يمكن للمسلمة أن تقيم دعوى الطلاق على زوجها .

والمرأة المسلمة أيضاً غير محظور عليها ، من حيث المبدأ ، ممارسة أية مهنة من المهن المألوفة . ولقد حاربت المسلمات كقوات مساعدة فى موقعة أحد (عام ٦٢٧ م) . كما تولت السيدة عائشة (زوج الرسول) – رضى الله عنها – قيادة موقعة الجمل (عام ٦٥٦ م) .

وهناك موضوعات أخرى قابلة للنقاش حول مساواة المرأة فى الإسلام ، بيد أنى أعتقد أنه يجب على الناقد أن يستوعب الحقائق التى ذكرتها هناك قبل أن يندفع فى شن هجوم شامل على الإسلام سعياً من أجل تحرير المرأة .

لماذا يضل الصوفيون ؟

آشفنبرج - ٢٦ ديسمبر ١٩٨٤

يعلم إدريس شاه ، مثلما يعلم كل الصوفيين أن قراءة الكتب لاتفتح الباب أمام المرء للسير على طريق التصوف . ومع ذلك فقد نجح فى إصدار الكتاب تلو الآخر من الكتب المفيدة عن حكمة الدراويش والمجوس . كما استطاعت كتاباته ، على الرغم من ذلك ، تسليط بعض الضوء على الطرق المجربة والمعتمدة للتصوف أكثر مما استطاع أى تحليل تاريخى - علمى للصوفية أن يفعل ، وبصفة خاصة كتاب « الأبعاد الصوفية للإسلام » (شابل هل ١٩٧٥) للخبير الغربى الرائد فى هذا المجال البروفيسور أنمارى شيميل (جامعتا بون وهارفارد) .

وإنه لمن الجدير بالاستحسان القول بوجوب أن يشك الباحثون عن الله شكًا مطلقاً فى صلاحية المنطق الإنسانى والتفكير العقلانى كأدوات للإدراك الميتافيزيقى . ومع ذلك فإن دخول طريق مسدود آخر ليس هو البديل عن دخول حارة مسدودة . والتسليم بأن استخدام النهج العقلانى لمعالجة مشاكل علم الوجود لن يكون مجدياً لايعنى أن استخدام النهج اللاعقلانى سوف يكون أكثر جدوى .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن الرؤى الصوفية لن تفلح فيما فشل فى تحقيقه الإدراك الحسى ، لأن الرؤى الصوفية ، فى نهاية المطاف ، ليست إلا نتاجاً للإدراك الحسى .

وليس ثمة فائدة ترجى من وراء التجربة الوفية ما لم نتمكن من صياغتها بإحدى لغاتنا . لهذا السبب فإنه حتى حالات الإلهام الناجمة عن الوجد الصوفى ليس من الممكن تحديدها سلفاً أو وقوعها إلا فى حدود الإطار الضيق لمفاهيمنا اللغوية المستمدة من تجاربنا الحسية ، وبعبارة أخرى فإن الطريق الصوفى ليس بديلاً على الإطلاق .

وليس هناك من سبيل أمامنا خارج حدود جهازنا الحسى . وليست هناك عقلانية أو لاعقلانية مجردة عن الحس . وليس هناك إلهام متحرر من التداعيات المحددة سلفاً – والناجمة من مفردات اللغات التى صنعناها بأنفسنا .

وعلى أية حال ، فليس هناك من سبيل لتمحيص الحقيقة الوجودية حول ما يعتقد الصوفى أنه قد رآه بعينه الباطنة ، أو سمعه بأذنه الباطنة . ويزعم الصوفيون أنهم قادرون على اكتشاف الدجالين بسهولة . والناس . بصفة عامة ، مدفوعين بتوقهم لاكتشاف الترياق الشافى لكل الأمراض ، ورؤية المعجزات ، يصنعون بأنفسهم **مرابطيهم** (كما يُطلق على الأولياء الصالحين فى منطقة المغرب العربى ، – الذين يستطيعون أن يعلقوا فوق أضرحتهم قصاصات من ملابسهم – إذا لم يظهر فى الحقيقة حكماء كاريزميون .

والشك المتطرف يصبح مباحاً كلما أظهر الصوفى الرغبة فى الإتحاد الصوفى بالله ، لأن هذا قد يغذى وهم وحدة الوجود لديه . بينما الله فى الإسلام هو المتعالى .

إن هذا الشكل – من الشرك القائم على القول بوحدة الوجود ، الناجم عن رغبة إنسان فانٍ فى المثول فى الحضرة الآلهية قبل موعده ، لهو أمر كافٍ لإثارة القلق . والأسوأ من ذلك زعم الصوفيين أن بعضهم قادر ، إذا ما التزم بالطريقة الصحيحة وتفانى فى العبادة ، على معرفة

الله من خلال إلهام خاص على نحو أفضل مما نُزل على أنبياء الله . وهذا غرور يرقى إلى مرتبة الكفر .

إن الرجال والنساء ، كما خلقهم الله الكامل ، ليسوا مسخاً أو بنياناً فاسداً أو آلات تشوبها نقائص فطرية . لقد تميز الإنسان وفُضل على الحيوان بعقله ، فهل من المتصور أنه يستطيع عبادة الله على نحو أفضل إذا مافضل اللاعقلانية على العقلانية ؟

ولايمكنني الاعتقاد بأن الوحى ، وفى مقدمته القرآن المنزل لفائدة الإنسان ، يمكن أن يكون رسالة شفرية غامضة تكتنفها الأسرار ، لايعلم فحواها إلا قلة من الصفوة .

وهل من الإسلام فى شىء أن يصبح الإسلام ، دين الوسطية ، امتيازاً لأرستقراطية دينية ؟

جيلنكيرشن - ٤ فبراير ١٩٨٥ .

نجح صاحب مستقيم بلخير في مؤلفه « دليل الكتاب المقدس » ، (فايلارسويست ١٩٨٤) في أن يقف على النصوص الواردة في العهدين القديم والجديد ، والدالة على صحة القرآن بوجه عام ، وصحة رسالة النبي محمد (ﷺ) بوجه خاص .

ولايتوقع المسلمون الغربيون المعاصرون إلا أقل القليل من وراء إجراء دراسة مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن ، كما لو أنه ليس بوسع أي من الإسلام أو المسيحية أن يسلط قدراً كبيراً من الضوء على أصول الديانة الأخرى ، كما يصر على ذلك البروفيسور هانز كونج . (ويذكر لعلماء أصول الدين المسيحيين من أمثال أدولف فون هارناك ، وأدولف شلاتر ، وبول شفارتسناو اعترافهم بأن القرآن قد احتفظ بأقدم وأصدق تفسير عن مكانة المسيح ، ودوره ، وطبيعته ، ومن ثم أصبح يذكّر المسيحيين ويواجههم بماضيهم) .

يبدو أنه لاتشغل تفكير المسلمين الغربيين سوى علاقة واحدة بين العهد الجديد والقرآن ، ألا وهي التنبؤ برسالة محمد (ﷺ) في إنجيل يوحنا (١٦:١٤) ، (١٣:١٦) . ويتفق المسلمون (ويوافقهم البروفيسور كونج على ذلك) على أن القراءة الصحيحة لهذه الآيات Periklytos (أي أحمد بالعربية) بدلاً من Parakletos - ترقى إلى

ماهو أكثر من الإشارة إلى (١) مجيء نبى آخر بعد المسيح (٢) وأن هذا النبى هو محمد .

ومن المهم أيضاً الاتفاق على ألا تكون ترجمة Parakletos (الواردة فى إنجيل يوحنا ١٤: ٢٦)على أنها « المعزى »[١] وهى إشارة إلى « الروح القدس » بالمعنى الوارد فى مذهب « التثليث » . ويبدو بوضوح التناقض القائم بين ماورد فى إنجيل يوحنا (١٦: ١٣)[٢] وبين ماورد فى طبعات عديدة من هذا الإنجيل حيث تأخذ هذه بالتفسير المشار إليه آنفاً ، وهكذا تمثل تسرب المفاهيم الهلينية والغنوسطية المتحيزة إلى النص (المشكوك فيه على أية حال) . (وكما لوكانت الأناجيل لم تسقط بما فيه الكفاية فى شرك التزييف الذى حاكته لها أحابيل الدراسات المسيحية) . ومن البديهى أن يكون التساؤل التالى مشروعاً : ألايكفى أن نرى القرآن كاملاً فى حد ذاته ومُصدقا بذاته ؟

وهل يحتاج الأنبياء إلى دليل خاص على هويتهم ؟

وهل من المفيد أن نعزز الوحى القرآنى بوثائق ، مثل معظم الكتاب المقدس وبخاصة إنجيل القديس يوحنا ، والتى هى فى حد ذاتها فى حاجة ماسة إلى من يثبت صحتها ؟

---

(١) تقول الآية : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » – (١٤ : ١٦) .

(٢) تقول هذه الآية : وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آيته » . (١٦ – ١٣)

العقلانية والحرية والحب

بروكسل – ٧ فبراير ١٩٨٥

حقق مارسيل هـ . بواسو بمقاله عن « النظام القيمي الغربي – السلاح الأخلاقي » (صحيفة المعهد الأوروبي للأمن في لكسمبورج ، العدد ٣ / ٨٤) نجاحاً هائلاً في سبر غور المشكلة . حيث تناول بالتحليل الوضع الراهن للنظام القيمي الغربي ، وانتهى إلى أن الحضارات تسير دائماً نحو الكارثة إذا ما سمحت ، كما يفعل الغرب اليوم ، لثلاث قيم رئيسية أن تختل وهي :
(١) العقلانية ، و(٢) الحرية ، و(٣) الحب .

فالحرية التي لايطعمها الحب تتحول إلى استغلال فوضوي . والعقلانية التي لايشذبها الحب تنتهي بحدوث محارق . والحب الذي لاتصقله العقلانية قد يصبح مدمراً لذاته . والعقلانية المجردة من الحرية تصبح وصفة إلى أرخبيل الجولاج[1] .

وما عليك إلا أن تستبدل قراءتك بكلمة الحب كلمة « الإخاء » ، وعبادة واحترام المعرفة الميسرة بدلاً من العقلانية ، والكرامة الفردية بدلاً من الحرية ، لكي تدرك لماذا تستطيع الحضارة الإسلامية الحقيقية أن تتجنب عدم التوازن الذي تعاني منه القيم الأساسية في الغرب .

---

(١) رواية سولجنستين الشهيرة عن معتقل كانت تمارس فيه أبشع صور الإرهاب السياسي في عهد الحكم السوفيتي السابق . (المترجم)

ولقد قمت اليوم فى مقر حلف الأطلنطى بتوزيع هذه النشرة على مسئولى مؤتمر الإعلام القومى ، حاثًا إياهم على أن يتناسوا ولو لمرة واحدة مشاغلهم الراهنة كيما يتدبروا واجبهم على المدى الأبعد ، ألا وهو مواجهة تلك الثورة الثقافية الصامتة ، التى لانكاد نشعر بها ، وهى تنخر فى أسس النظام القيمى الغربى .

لو أن جناب القاضى لم يتلاعب بالكلمات ؟

بروكسل – ٨ فبراير ١٩٨٥

عندما يتورط المسيحيون فى خطأ محاولة الدفاع العقلانى عن مذهب « التثليث » ، يأخذون أولاً فى التذرع ببعض الألاعيب اللغوية ، وينتهى بهم الأمر إلى التراجع ، زاعمين أنه بما أن « التثليت » هو سر من الأسرار فإنه لذلك يستعصى على التفسير .

وحول هذا الموضوع نشرت صحيفة « فرانكفورتر الجمانية تسايتونج » اليوم فى باب « رسائل إلى المحرر » رسالة كتبها الدكتور جيرهارد موللر رئيس المحكمة العليا العمالية فى ألمانيا سابقاً ، جاء فيها أن الكنيسة لم تتصور فى أى طور من أطوارها أن يكون للمسيح طبيعة مختلطة ، أى نصف إله ونصف إنسان ، و« الصلة بين الله والإنسان (فى شخص المسيح) من نوع فريد لايستطيع المرء أن يجد له مثيلاً فى تاريخ الأديان » . (ولقد أخطأ السيد موللر لأن الاستشهاد بالتأسل [1]الدينى لايمكن أن يلفق بهذه البساطة) .

وطفق موللر يقول إن المسيح عُرِف دائما على أنه الله « لأنه بإعتباره ابن الله السابق على وجوده ، فقد تمثل دائماً فى الله ، وظل دائماً الله فى أثناء قبوله (للصفة) الإنسانية من مريم »أى « بواسطة روح

---

(١) التأسل هو العودة لصفات الإسلام التى تم الابتعاد عنها . (المترجم)

الله » ، « ويرقى هذا الحدث إلى حد اعتباره بمثابة بداية جديدة للبشرية ، أطلق مسيرتها المسيح على نحو لارجعة فيه » .

هكذا ـ! ياليت جنابه كان قادراً فقط على مقاومة إغراء ربط الكلمات العديدة التى لامعنى لها جنباً إلى جنب (ألا يجب على المسلمين أن يدينوا له بهذه الدعاية الضخمة غير المقصودة ؟) .

ألم يكن من الأفضل (والأكرم) أن يعلن المرء إفلاسه الفكرى عندما يعهد إليه بتفسير « التثليث » ؟

ومما لاريب فيه أنه كان من الأفضل للسيد رئيس المحكمة أن يتوغل قليلاً فى التاريخ الشيق لفكرة التثليث ، سواء تكون من إيزيس وأوزيريس وحورس ، أو من الله الآب ومريم والمسيح ، أو من الله الآب وكلمة الله والمسيح .

وفى هذه الحالة كان على مستر موللر أن يعترف – مثلما فعل من قبله القديس يوحنا ، والقديس بولس ، وديونيسيوس المزعوم – بأنه قد أسلم نفسه للعبة التلاعب بالألفاظ التى قام بها لأول مرة أناس مثل أفلاطون والغنوسطيون .

ومن الابتذال القول بأن « الأسرار الدينية » تستعصى على التفسير . وهى كذلك بحكم تعريفها .

ولكن ليس هناك ما يمنعنا إطلاقاً من أن نقرر بداءة ماإذا كانت المسألة تتعلق بسر من الأسرار بالفعل ، أو أنها كما فى حالة « التثليت » من نسج قلوب البشر وعقولهم .

لقد مضى ذلك الوقت الذى كان يمكن فيه للمسيحية أن تستفيد من فكرة « التثليث » ، خاصة عندما تنشر بين شعوب تؤمن بالتسلسل الهرمى للآلهة .

أما اليوم فإن « التثليث » لايعدو أن يكون عبئاً على المسيحية .

الديموقراطيات الإسلامية ؟

بروكسل - ١٤ فبراير ١٩٨٥ .

يُرمى أهل المملكة العربية السعودية عادة بأنهم « أصوليون متزمتون » .

وتبدو هذه الفكرة غريبة إذا ما كانت تشير إلى جهودهم فى محاربة الخرافات والفساد .

وتحسباً لذلك قامت السلطات السعودية بضرب سور حول ما يسمى « بقبر حواء » ، أم البشرية ، فى جدة لإغلاقه ، وناهضت عبادة البطل (وماهو أسوأ) فى مقبرة البقيع التاريخية فى المدينة .

وهذه الاتهامات غريبة أيضاً إذا ما كانت تشير إلى إصلاح المذهب الوهابى للعادات فى مكة .

وكما عرفنا بالتفصيل من كتاب هنريش فون مالتسان « **رحلتى إلى مكة** » ، الذى استطاع أن يتسلل داخل المدينة المقدسة عام ١٨٦٠ ، أنها كانت غاصة فى ذلك الوقت بأوكار الأفيون ، والمواخير ، وعشش اللصوص .

وأخيرا ، فإنه يبدو لى من الغريب أن يؤخذ على أسلوب حياة السعوديين أنهم حرصوا حرصاً بالغاً على التمسك بأهداب دينهم على نحو ما فعلت المسيحية فى يوم ما . وإذا كانت « الأصولية المتزمتة »

تعنى غياب المجاملة والنفاق فهذا صحيح ، حيث يوجد فى السعودية هذا النوع من الأصوليين ولهم أن يفخروا بأصوليتهم .

ربما كانوا يفهمون أن التقدم فى ظل ظروف معينة ، مثل ظروفنا هذه الأيام ، قد يتطلب الأخذ بنماذج تمت تجربتها وثبتت صحتها فى الماضى . وهذا الموقف – الذى يمثل النزعة المحافظة البناءة – هو موقف يحظى بالاحترام فى الغرب ، شريطة ألا يكون المتمسكون به من المسلمين .

ولاريب أنه ليس من التخلف فى شىء الدفاع عن الفرض القائل بأن حل المشاكل الاجتماعية ، الذى أوجده محمد (ﷺ) **والخلفاء الأربعة** الراشدون ، يمكن أن يصلح كنموذج يقتدى به فى حل مشاكل مجتمعات ما بعد الثورة الصناعية . وليس من السذاجة فى شىء الالتزام بموقف سلبى – كما يفعل البعض من الفلسفة وأصول الدين الميتافيزيقيين بالشكل الذى حددته مدرسة الأشعرى الفلسفية (٨٧٤ – ٩٣٥ م) . وهل يعتبر هذا النقد الأصولى لنظرية علم الوجود الفلسفية والميتافيزيقيا بدائيًا لمجرد أنه جاء قبل دافيد هيوم وعمانويل كانط ولودفيج فيتجنشتين بعدة قرون ؟

ولم يبق أمامنا سوى أن نقول إنه على الرغم من أن ناقدى الأصولية الإسلامية فى الغرب قد ركزوا على موقف الإسلام من النموذج الغربى للديموقراطية التعددية البرلمانية ، فقد تجاهلوا حقيقة أن الكثيرين من الليبراليين والاشتراكيين الغربيين يعيشون فى دول الملكيات الدستورية دون أن يؤرق ضمائرهم الوضع القانونى المميز الذى تتمتع به الديانة المسيحية فى هذه الدول ، رغم أنها غير إقطاعية . والإسلام أيضاً لايفرض حكم الأوتوقراطية الدينية .

وليس من المقطوع به الإشارة إلى أن تاريخ الإسلام ليس هو تاريخ التطور الديموقراطى .

ولطالما عانى المسيحيون من شرور « الحكام الملهمين » ، و « الملوك المستنيرين» ، و « الأباطرة الذين يخشون الله » ، والملقبين بـ « ظل الله فى الأرض » . كما أن المسلمين كثيراً ما تحملوا حكم السلاطين والخلفاء والأمراء الأشرار والمستبدين .

وحقيقة الأمر أنه يمكننا أن نعتبر التاريخ القانونى للإسلام قصة كفاح طويل بين رأى متحرر - أى حكم القرآن القاضى بالإنصاف والمساواة والوقاية من الاستبداد - وبين السلطة الواقعية المستبدة والطاغية . وهو ما يخول كل الحق للبروفيسور كارل ج . نيومان أن يتساءل اليوم فى صحيفة « فرانكفورتر الجماينة تسايتونج » : هل توجد اليوم دولة واحدة غير دكتاتورية تحت ظل الهلال » ؟

والحقيقة أيضاً أن الإسلام لايزال مديناً للإنسانية بتقديم الدليل الحاسم على أن الدولة الإسلامية المعاصرة - « الديموقراطية الدينية » (المودودى) - يمكنها أن تقدم ، ليس فى النظرية فحسب وإنما فى التطبيق أيضاً ، حكم قانون قائماً على المشاركة ومستمداً من القرآن ووثيقة الحقوق الأساسية للإنسان .

« قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا »

بروكسل – ٢٥ فبراير ١٩٨٥

لم يقاس أبناء مهنة أخرى من الهجمات الإرهابية بقدر ما قاسى الدبلوماسيون إبان العقدين الماضيين ، ومن ثم يتلقون العديد من نصائح الخبراء حول كيفية تجنب النسف داخل سياراتهم ، أو الاختطاف ، أو التعرض لرصاص القناصة ، ولو كنت قد اتبعت نصائحهم بحذافيرها ، لأصبح ضمان سلامتى عملاً يتطلب جهدا يستغرق منى ٢٤ ساعة يوميًّا – وهو عبث محض . ومع هذه الحماقة فأننى لن أتمكن من إطالة أجلى ولو لثانية واحدة . فالنجاة بأعجوبة ، والرصاصة الطائشة لم تشكلا مطلقاً خطراً علىّ فى الحقيقة . ذلك أن الرصاصة المقدر لها أن تصيب لايمكن أن تطيش .

وليس معنى هذا أنه ينبغى للمسلم ألا يتعرف على الخصائص الحديثة لمسدس من طراز هيكلر وكوخ ب ٧ إم ١٤ وأن يصبح رامياً بارعاً . ومع ذلك يجب عليه ألا يتوهم مطلقاً أن أيامه ليست معدودة : ﴿ **إِنَّا لله وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** ﴾ (سورة البقرة الآية رقم ١٥٦) ، ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ الله كِتَٰباً مُّؤَجَّلًا** ﴾ (سورة آل عمران الآية رقم ١٤٥) .

ولم يكن إذن الله هذا قد صدر بعد بالنسبة لى ، عندما كانت القنابل الأمريكية والبريطانية تنهمر على مدينتى كل أسبوعين أثناء الحرب العالمية الثانية .

كما أنه لم يكن قد صدر بعد عندما نجوت من حادث تصادم سيارة فى منطقة المسيسبى يوم ٢٦ يونيو عام ١٩٥١ .

ولم يصدر هذا الإذن كذلك عقب هذا الحادث بأربعة عشر يوماً ، عندما قام أحد المخبولين فى تنيسى بإطلاق رصاصة اخترقت زجاج نافذة مقصورتى فى القطار ، لم تخطىء رأسى ألا ببضع بوصات ، أثناء رحلة عودتى إلى واشنطن .

كما أن الله لم يأذن لى بعد بالرجوع عندما اكتشفوا فى عام ١٩٧٦ حيث كنت سفيراً لبلادى فى جدة - أنى أعانى من ورم سرطانى فى كليتى اليسرى .

دعوة قائمة

بروكسل - ٩ مارس ١٩٨٥

في معرض الكتاب الدولي السابع عشر في مركز روجيه في بروكسل كان جل الاهتمام مركزاً على المطبوعات باللغتين الفرنسية والهولندية . كنت متفائلاً وأنا أبحث عن الجديد في الأدب الإسلامي . ودلني الحاسب - في مكتب الاستعلامات القائم عند المدخل - تحت عنوان « إسلاميات » إلى جناح متخصص في بيع المؤلفات التي تتناول الأمور الباطنية والسحر والتنجيم ، ومن بينها كتب عن الدراويش الدوّارين والمزح الملتبسة لنصر الدين خوجة ، ولم أجد إلا بعض المواد القليلة في جناح الكتب الألمانية من إنتاج دار نشر « **المكتبة الإسلامية** » في كولونيا .

ولقد كانت هذه ظاهرة مشينة بحق في ضوء المنافسة القوية من القوى التبشيرية الأخرى . ولم يقتصر الأمر على وجود الدول الشيوعية فقط ، وإنما كانت هناك طوائف مسيحية مزعومة مثل طائفة « الكأس المقدسة » ، وطوائف الهراطقة المسلمين مثل « أنصار الدكتور داهش »[1] وحلقات المنجمين ، وجماعات الضغط المؤيدة للشذوذ الجنسي والتي احتلت طابقاً بأكمله من مركز روجيه . ونجحت بعض

---

(١) مفكر لبناني ادعى النبوة وأعدم . (المترجم)

البلجيكيات الجريئات التابعات للحركة البهائية فى إشاعة جو حماسى إنسانى من خلال ترديد رائعة فردريك شيللر ولودفيج فان بيتهوفن « فلتتعانقوا أيها الملايين ! » .

هل يفتقر المسلمون إلى الخيال ، وروح المغامرة ، والمهارة التنظيمية التى أظهرها أتباع المرحوم بهاء الله ؟

أو أنه لايتفق مع كرامة الإسلام أن يظهر إلى جانب تلك الجماعات الهامشية المريبة – والتى تبشر بثقافاتها المضادة فى الخفاء – كما تفعل ذلك حتى الكنيسة الكاثوليكية هنا ؟ .

فى الواقع أن الإسلام لايحبذ أسلوب التبشير المنهجى والعدوانى هذا ، حيث تضع هذه الديانة ثقتها فى الجاذبية الحتمية لنمط الحياة النموذجى الذى يلتزم به الفرد المسلم .

أما أسلوب **الدعاية** التبشيرية الكاثوليكى فلا يستقيم مع الإسلام . حيث يعتبر الإسلام نفسه دعوة قائمة ، ودينا بابه مفتوح وأيدى ممدودة دائماً ورسالة غنية عن الشرح لأنها تفسر نفسها بنفسها . وبعبارة أخرى ، فإن الإسلام يعول على الأثر التلقائى الناجم عن بساطته ، وطابعه الفطرى ووضوحه واعتداله لكل من يريد ويستطيع أن يسمع وأن يرى .

وهو موقف مفهوم لمن يؤمن بأن الله ، الواحد الأحد ، سوف يهدى إلى **الصراط المستقيم** من يشاء وكيفما يشاء .

وإستناداً إلى ذلك ، فلا مجال للترويج للإسلام على قارعات الطريق .

بيد أن الإيمان شىء والقدرية شىء آخر . إذ ينبغى على المسلم أن يعى حقيقة أن الله (سبحانه وتعالى) هو خالق كل شىء (هو مدبر

كل شيء) ، ومع ذلك يجب عليه ألا يتردد فى أن يكون حلقة فى رابطة السببية المؤدية إلى إيمان جاره . ويجب عليه دائماً أن يصلى صلاة مودع ، وفى الوقت نفسه عليه أن يتدبر ويعمل كأنه سيعيش خمسين عاماً أخرى .

وفى هذا الصدد يمكن للمسلمين أن يتعلموا من فلسفة ماركس عن حتمية المادية التاريخية ، والتى كانت بمثابة ذريعة للمواقف السلبية ، حتى جاء لينين ليطعم الشيوعية بالفعالية البلشفية حيث كان على كوادر الحزب أن تعمل من أجل مساعدة « العملية التاريخية الحتمية » للإسراع الطوعى بحركة التاريخ نحو تحقيق أهدافها المطلوبة فى التطبيق العالمى للاشتراكية الكاملة .

ومن ثم ينبغى للمسلمين أيضاً أن يقوموا بنشر دعوتهم وفقاً لأفضل مايسمح به تقديرهم ، وأقصى ماتسمح به إمكانياتهم .

ملاحظة خرقاء .

بروكسل - ١١ مارس ١٩٨٥

فى حفل عشاء ديلوماسى علمت جارتى الأسبانية بأنى مسلم ، فالتفتت إلىّ متعجبة وقالت : « أوه ! أنت إذن أحد أولئك الذين لايزالون ينتظرون مولد الله ؟ » .

وأدركت لأول وهلة كم كان نجاح الدعاية النصرانية كبيراً عقب إسترداد الأندلس فى تشويه صورة الإسلام . وتذرعت بالصمت .

ثم فكرت أن أتلو عليها ما جاء فى سورة الإخلاص من قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ .

وبدلاً من ذلك غيرت الموضوع مكتفياً بالقول : « إن هذا هو الشىء الوحيد الذى لاينتظره المسلمون ! » .

ألم أتعلم من دروس الإتيكيت (أسلوب التعامل اللائق) أنه يجب عدم الخوض فى أمور السياسة والدين والصحة على مائدة العشاء ؟

أربعة عنادل[1] من اسطنبول .

بروكسل – ٣١ مارس ١٩٨٥

سوف تقدم جوقة الكنيسة البروتستانتية الكائنة بالقرب من القصر الملكى مجموعة من حفلات الموسيقى المقدسة لديانات العالم الكبرى . وكان من الأحرى للبرنامج أن يتخذ لنفسه شعار هوجو بول : « إن الفن أقرب إلى الدين من العلم » .

ولسوف نشهد اليوم عرضاً لفرقة زائرة هى « المؤذنون الأتراك » ، والتى سوف تقدم تلاوة لبعض آيات القرآن بالعربية ، وقصائد لسليمان سليبى (القرن ١٤ الميلادى) بالتركية ، والتى تمثل أجزاء من احتفالات الطائفة الحنفية بالمولد النبوى .

وشرح لنا منظم الحفل فى البداية الفرق بين الموسيقى الآلاتية للصوفيين المسلمين ، وبين تناغم أناشيد هؤلاء الأئمة التى تعول على الوزن الداخلى واللحن اللفظى لنصوص القرآن . وأنهى حديثه طالباً منا أن نمتنع عن التصفيق لأنه لايمكن فصل الموسيقى الدينية عن مضمونها ، وهو التضرع بالدعاء .

وقد تمكن هؤلاء « العنادل » الأربعة ، بفضل أصواتهم القوية الواضحة ، والثاقبة المتضرعة أيضاً من أن ينتزعوا الإعجاب ، وتركوا

---

(١) العنادل جمع عندليب . (المترجم)

أثراً عميقاً فى نفوس الكثير من النظارة لما أبدوه من استغراق وخشوع ، وهما من أروع مايتضمنه الفن الإسلامى من عناصر .

ومع ذلك فقد انتابنى شعور غير مريح . إذ هل ينبغى استغلال محسنات القرآن البديعية حتى يمكن للمرء أن يستمتع به فحسب ويقدره ؟ **أى الفن من أجل الفن فقط ؟!**

ألم يكن فردريك نيتشه صادقاً إلى أبعد حد فى شعوره ، عندما كتب فى مؤلفه « مولد التراجيديا » أن المسيحية الحقة « تنفى كل القيم الجمالية ؟ »

وبعد أن يستمع الناس إلى كلمتى « الله » و « محمد » تترددان كثيراً معاً هنا ألا يؤكد هذا رأيهم الخاطىء فى أن المسلمين ، قياساً على المسيحيين ، هم « **محمديون** » ؟

وهل لم يكن الوهابيون على حق عندما ناهضوا التنغيم فى نداءى الصلاة : **الآذان والإقامة** ؟

ألم نبلغ اليوم الحد الذى يسود فيه الفن ، ويطغى على الصلاة حيث يصبح الفن عقبة أمام الصلاة ؟

الحب الأخوى مقابل الأخوة

الجمعة الحزينة – ٥ أبريل ١٩٨٥

أصبح من المسلم به أن تفرد كل من صحيفتى « فرانكفورتر الجماينة تسايتونج » و « دى فيلت » فى عيد الفصح صفحة للتعاليم المسيحية . ولكن لايمكن المرور مر الكرام على تركيز هاتين الصحيفتين اليوميتين ، كما فعلتا هذا العام ، على الإسلام باعتباره « أسرع الأديان انتشارا فى كل مكان » .

ومن المؤسف حقًّا أن تفوت هذه الفرصة دون توضيح الأساس المشترك للديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية . لقد كتب كارل – ألفريد أودين : « إن ما يفصل بينها (الأديان) هو مفهومها لله . فالله محبة فى الصيغة المسيحية ..» (فرانكتورتر الجماينه تسايتونج – ٤ أبريل) .

وكان أودين محقًّا فى استخدامه لمصطلح « الصيغة » لأن هذا هو بالضبط المصطلح الواجب الاستخدام ، ولا أكثر من ذلك . بيد أنه لم يكن محقًّا فى استخدامه لبعض المصطلحات التى وردت فى محاجته : « إن الرب بموته على الصليب – رمز كل أشكال العذاب الإنسانى - قد أنقذ البشرية بعد أن حمل عنها عبء هذه المعاناة » .

وببساطة صارخة يمكننا أن نقول إن « الله محبة » عند المسيحيين ، إما أن يكون هو الله الرحمن الرحيم ، أو لايكون إلهاً على الإطلاق .

وأن تحليل مفهوم كلمة « محبة » يظهر الأمور كلها على حقيقتها . فالبشر يربطون بين المحبة وبين رغبتهم فى إعطاء أنفسهم إلى شخص آخر والاندماج فيه . والمحبة الشديدة تحتاج إلى استجابة : أى محبة فى مقابلها . ففى الوقت الذى ينظر فيه كل من المحب وشريكه إلى الآخر على أنه صنو له ، فإن كلاً منهما يسبغ على الآخر أسمى الصفات . وكل منهما فى **أمس الحاجة** إلى الآخر ، أى لاغنى لأى منهما عن الآخر بكل معنى الكلمة .

ومن الواضح أن وصف الله بأنه « محبة » لايمكن أن يكون بهذه الطريقة وإلا لما كان المجيد الكامل ، الموجود ، المهيمن ، الغنى كما هو شأنه .
وإنه لمن الكفر حقًّا أن تزعم بأن الله (سبحانه وتعالى) بدونك ، أو بدون خلقه سوف ينقص من ملكه شيء .

لأن الله كان قبل كل زمان وكل خلق ، وهو الكامل دائماً .

ومن ثم فإن محبة الله لعباده لايمكن تصورها إلا باعتبارها علاقة غير متكافئة لاتنتقص شيئاً من سلطانه العظيم المتمثل فى ذاته منذ الأزل . وهذا يعنى أن الله يمكن أن يكون كريماً ورحماناً ورحيماً بمخلوقاته إذا شاءت إرادته ذلك ، كما أنه (جل جلاله) هو العادل والمعاقب إذا شاء ذلك أيضاً .

وعندما يشير المسيحيون إلى « الله محبة » ، فإنهم لا يقصدون بذلك الإله الآب ولكن يقصدون المسيح ، والذى ، بصفته إنساناً ، يمكن أن يكون ضحية ، بل وأن يضحى بنفسه من أجل إخوانه . بيد أن الله ،

فى الوقت الذى يقبل فيه الأضاحى ، إلا أنه فى غنى عنها . ومن ثم فإن الحاجة إلى أن يضحى بنفسه (أو بجزء منه) لنفسه تتناقض مع الطبيعة الإلهية لمن نسميه بيهوه ، أو الرب ، أو الله . والله حر فى أن يعفو إذا ما شاء ذلك بلا شروط أو إجراءات .

ويعتز المسيحيون بهذه « الطفرة العصرية » المتمثلة فى مفهوم « الله محبة » .

أما فى الحقيقة فإن هذا المفهوم من المنظور الفلسفى واللاهوتى لمفهوم الله يعد خطوة للوراء ، لأن كل التقدم الذى حققه المفكرون الإغريق وأنبياء اليهودية أصبح مهدداً بالفكرة المسيحية عن الله المتجسد فى ملامح إنسانية . لقد أسقط المسيحيون رغباتهم الناجمة عن الخوف فى مفهومهم عن الربوبية الذى يساعدهم على تبديد ذلك الروع الحتمى الناجم عن رؤية للإله مباشرة وليست محجوبة عن النظر .

وإذا كان المسيح قد حقق طفرة تاريخية ، فإنما جاء ذلك نتيجة لوصيته بأن يحب المرء الله وأن يحب جاره كما يحب نفسه .

ولكن انكار أن الإسلام قد تضمن نفس هذه الوصايا يعد محض افتراء . إن « الحب الأخوى » فى المسيحية ، والأخوة فى الإسلام ليسا إلا الشىء ذاته .

ليس غبيًّا ومع ذلك مسلم !!

بروكسل – ٩ أبريل ١٩٨٥

كنت أقيم كل أسبوع حفل غداء أو أكثر فى مقر منظمة حلف شمال الأطلنطى (الناتو) لبعض الزوار الذين تدعوهم مصلحة الإعلام التابعة « لحلف الأطلنطى » . وقد اعتاد النّدُل أن يضعوا أمام مكانى (على المائدة) زجاجة مياه معدنية بدلاً من النبيذ . كما كانوا يستبدلون بكياسة شيئا آخر بأطباق لحم الخنزير . وقد لاحظ زائرون كثيرون هذه المناورة .

وعندما كنت أفسر ذلك بأن نظامى الغذائى سببه فى الحقيقة أنى مسلم **والحمد لله** ، كان معظم الناس يظنون فى بادىء الأمر أننى أمزح ، وخاصة إذا ما كانوا قد استمعوا إلىّ منذ وقت وحيز وأنا أشرح لهم باقتدار موضوعات مثل « علاقات الشرق والغرب » ، و« مشاكل الحد من الأسلحة » ، و« الاستراتيجيات البديلة » ، و« الرأى العام » (وأعتقد أن لسان حالهم كان يقول « ليس غبياً ومع ذلك مسلم !!) .

وكـ ن الفضول مؤشراً للمرحلة التالية لذلك حيث كان الناس يبدأون فى التساؤل : ماذا (كما لو كانوا يقولون بحق الجحيم) دفعك إلى أن تصبح مسلماً ؟ » .

وتعقب ذلك المرحلة الثالثة المتمثلة فى مناقشات استجوابية تتسم بالتحامل والمخاوف النابعة مما وراء نطاق الوعى إزاء الإسلام . وهاك

بعض التساؤلات المألوفة : الحرب المقدسة ؟ تعدد الزوجات ؟ الخومينى ؟ .

ولكم تذرعت بالصبر الجميل وأنا أحاول أن أشرح أن « الحرب المقدسة » هى مصطلح غربى ، وأن مفهوم الإسلام « للجهاد » لايعدو فى أصله أن يكون جهاداً معنوياً . وأشرت أيضاً (عقب ملاحظة عابرة عن الحروب الصلبية) أنه استنادا إلى الآية ٢٥٧ من سورة البقرة لايجيز الإسلام الإكراه فى الدين .

ولم أتردد فى الاعتراف بأن مذهَبَىْ السُنّة والشيعة قد يختلفان جذريًّا على نحو أشد من الاختلاف القائم بين الكاثوليك والبروتستانت .

وعندما تطرق الحديث إلى موقف الشريعة الإسلامية من الزواج ، أوضحت لضيوفى إمكانية أن تستبعد الزوجة الأولى الأخريات بموجب عقد الزواج . كما أكدت للمنصتين أنه فى مجتمع اليوم المتسم بالحساسية الشديدة ، يكاد يكون الوفاء بالشروط الواردة فى القرآن لإباحة الزواج بأكثر من زوجة استثناء من الناحية العملية ، حيث تتنبأ الآية ١٢٩ من سورة « النساء » : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم » .

ومن الطبيعى أن تنتهى أحاديث المائدة هذه بالتعادل . إذ ما الذى أطمع فى تحقيقه أكثر من اكتساب شىء من الاحترام للإسلام ؟

ومع ذلك فقد لاحظت إنبهار الشباب من بين الزائرين بعنصر محدد فى هذا الدين ، وهو امكانية أن يقف المسلم أمام ربه باعتباره كائناً متحرراً دون أن تفصل بينهما درجات من الشفعاء . وليس هذا الأمر بغريب إذا ما أدركنا أن هؤلاء الشباب يحتفظون بفأس من نوع خاص يرغبون أن يحطموا به الطقوس ، والشكليات التقليدية ، والهياكل البيروقراطية .

وعلى الرغم من ضآلة فرصتى ، فإنى لم أيأس من أن يلمح البعض من ضيوفى ، أثناء أحاديث الطعام هذه ، مدى النقاء الروحى فى الإسلام ، مما قد يحملهم على الاعتراف بأن هذا الدين يمثل قمة الفكر الإنسانى والإنجاز الأخلاقى للإنسان .

والله أعلم .

الكتاب المقدس والقرآن والعلم

بروكسل - ١١ أبريل ١٩٨٥

إن دراسة موريس بوكاى عن « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » ، والتى تمثل عنواناً فرعياً لمؤلفه « الكتب المقدسة على ضوء الفقه الحديث » تمثل إقراراً مشهوداً بمصادر الإسلام (الطبعة الألمانية الأولى ، ميونيخ ١٩٨٤) . وإننا لنجد اليهود الأشد أرثوذوكية وقد عجزوا عن معرفة إلى أى مدى يعد العهد القديم من قبيل الأدب الإنسانى مما يجعل من المستحيل أن نستخلص منه مايمكن أن نطمئن إلى إعتباره من قبيل الوحى .

ونفس الشىء يمكن أن يقال بالنسبة للمسيحيين . إذا يبدو عليهم وكأنهم قد أصيبوا بجمود فكرى عندما يواجهون حقيقة أن العهد الجديد ، متضمناً الأناجيل الأربعة ، لايعد - من عدة نواح - رواية شاهد عيان ، وإنما تعليق على مصدر غير مباشر مما تناقلته الأفواه . فالتفسير الذى تعتنقه المسيحية بصورة نموذجية اليوم عن دور المسيح هو ذلك الذى جاء به أنصار مدرسة القديس بولس المتطرفة من الهيلينيين ، والتى تسيطر عليها آراء الأفلاطونية الجديدة والغنوسطية . ولقد بلغت هذه الطائفة حدًّا من النجاح لم يمكنها من طرد خصومها من اليهود المسيحيين من المسرح فحسب ، وإنما من الذاكرة أيضاً .

وكان بوكاى قد قام فى أول الأمر بتعداد الحالات الكثيرة التى يوجد

فيها تناقض بين الكتاب المقدس والحقائق الثابتة مثل تسلسل الخلق ، ونسب المسيح وتواريخ بعض الأحداث التاريخية المتعلقة به . كذلك كرر التناقضات الشهيرة بين الروايات الإنجيلية المختلفة مثل القيامة وسر العشاء الربانى (سر التناول) .

ويعترف بوكاى بأنه قد أصيب بالدهشة الشديدة عندما اكتشف لأول مرة عدم إمكانية النيل من صحة القرآن على أساس نقاط ضعف مماثلة أو قريبة من ذلك . كما أدهشه أن يعلم ، على النقيض من ذلك ، أنه لايوجد بيان قرآنى واحد لايمكنه الصمود بصلابة للتمحيص العلمى – سواء تعلق هذا البيان بالحقائق الكونية ، أو الوراثية ، أو الأبحاث التى تجرى فى أعماق البحر .

بل إن القرآن قد أثبت مصداقيته بالنسبة لما جاء فيه من تفصيلات حول نمو الجنين – كما نعرفه اليوم – والتى لم يمكن التحقق منها إلا أخيرا بفضل استخدام مجهر فحص داخل الرحم .

هذه هى الخلفية التى دفعت بوكاى إلى أن يؤكد أن « فى اعتقادى أنه ليس ثمة تفسير طبيعى لظاهرة القرآن » . ومن ناحية أخرى فإن وقوف المؤلف على العديد من **الأحاديث** الضعيفة المليئة باللغو الطبى والمنسوبة إلى النبى (ﷺ) لم تزد اعتقاده إلا يقيناً .

إلا أن بوكاى قد وقع للأسف – مثلما فعل محمد إقبال من قبل – فى نفس الفخ الذى صنعه بيديه ، ألا وهو محاولة الخروج بالمزيد من الأدلة على بعض الحقائق العلمية من القرآن . فعندما تراءى له أن الآية ٣٣ من سورة الرحمن تنبىء بالصعود إلى القمر وأبحاث الفضاء على نحو ماتم فى عصرنا الحالى : ﴿ **يَمَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُم أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَٰتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنٍ** ﴾ ، لم يجد سوى ما افترضه هو نفسه من خلال عملية إعادة الصياغة .

إن الخطورة التى ينطوى عليها هذا المنهج تتمثل فى أنه قد يدفع بعض قارئى القرآن إلى اعتبار القرآن محتوياً على مفاتيح الغيب ، وقد يعجزون عن تذكر أن الحقائق المتعلقة **بأصول الدين** وليست الحقائق العلمية ، هى بطبيعتها الهدف الأول للوحى . وليس بوسع الاكتشافات العلمية أن تنال من مصداقية الوحى الحقيقى .

وبعد فإن القرآن ليس ملخصاً لعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء ..

الإسلام والتوتر العصبى

بون – ١٤ يونيو ١٩٨٥

عندما كنت أقوم بمهمة فى بون التقيت مصادفة بزميلى القديم الدكتور ألويس مرتيس وزير الدولة للشئون الخارجية . ولما كان أسيراً لجدول ارتباطاته ، فقد كان عليه أن يسرع مبتعداً بعد محادثة لم تستغرق سوى دقيقتين . وفى اليوم التالى سقط ميتاً بسبب انسداد الشرايين .

فهل كان مصابا بتوتر شديد ؟

واليوم فإن كافة لغات الغرب تركز على هذا المصطلح باعتباره مفسراً ، فى حد ذاته ، للضرر المترتب على اتباع الإنسان إسلوباً مدمراً فى حياته .

ومع أن نموذج الرجل المعاصر ، مثل مدير الأعمال ، لايعمل أكثر مما كان يعمله الناس فى العصور السالفة ، لكن الجديد – والذى يسبب التوتر كظاهرة حديثة – هو شعور الرجل المعاصر بعدم قدرته على العيش تحت ضغط متصل لتحقيق المزيد من النجاح . حيث إن هناك العديدين فى الغرب الذين لايرون أمامهم اليوم سوى أحد بديلين : إما الكفاح وإما الهروب ، ولم يعد فى استطاعتهم أن يروا البديل الثالث ، وهو أن يتحرروا من أثقالهم .

وينتهى الأمر بأنماط مديرى الأعمال المختلفة فى صراعهم من أجل

تحقيق المزيد من المال والنجاح (ضد الزمن ، والظروف ، ورؤسائهم) إلى تحدى حدود إمكانياتهم الجسمانية مستخدمين فى ذلك المخدرات المختلفة مثل الكحول والسجائر والمهدئات ، والحبوب المنشطة والمنومة . وتكون النتائج المتوقعة هى الانهيار الجسمانى حيث تسوء حالة القلب ، والرئتين ، والكبد ، والدورة الدموية ، والجهاز العصبى .

ولهذا السبب فإن الأطباء العاقلين ينصحون مرضاهم بالامتناع عن شرب الكحول ، والتدخين ، وإتخام أنفسهم بالطعام ، وأن يلجأوا إلى تهدئة أعصابهم من خلال « التأمل الروحانى » .

وبالنسبة لى فإن هذه الظاهرة برمتها تمثل دليلاً جديداً على أن نمط الحياة الإسلامى يتفق مع طبيعة الإنسان كما أرادها الله ، وأن الإسلام هو الحل الأمثل لمشاكل اليوم الصحية .

وفى الحقيقة أنه ليس من التزيد أن أشير إلى أن المسلم الحقيقى لايمكن أن يكون شخصية تتعرض للتوتر الزائد عن الحد ، والعكس صحيح .

فالكحول ؟ محرم .

والنيكوتين ؟ مكروه نتيجة لشبهة الشرك الضمنى القائمة فى أى شكل من أشكال الإدمان .

والكوليستيرول ؟ مشكلة يسهل حلها مادام ليس هناك تناول للحم الخنزير .

والوزن الزائد ؟ يمكن إنقاصه بصوم رمضان .

وخشية الفشل ؟ إن الإعتراف بأن « **الله أكبر** » يعنى التسليم دائماً بحكم الله .

والتأمل الروحانى ؟ وماذا هناك أفضل من الصلاة خمس مرات فى اليوم ؟

الوقت من ذهب ؟ ليس بالنسبة للمسلم .

اللياقة البدنية ؟ وتنطوى الصلاة على تأثير إيجابى فى هذا الصدد .

تنشيط الدورة الدموية ؟ إن الوضوء ينشط الجهاز العصبى التلقائى .

ألا تكفى هذه القائمة دليلاً مهمًّا على أن الحياة طبقاً لأحكام القرآن **والسنة** هى حياة **صحية** ؟

وإليك سبباً آخر لرؤية الإسلام كترياق لا يعول على المخدرات لمواجهة المشاكل الأساسية فى المجتمع الصناعى المعاصر .

وبصفتى مديراً فإنى أعرف عم أتحدث . ولكنى مدير أحتفظ بسجادة الصلاة فى حقيبتى .

القديس أتاتورك وغرائب أخرى

أيفاليك – ١٩ يوليو ١٩٨٥

انتقلت القصة من فم لآخر بأن معجزة قد حدثت . وماعليك إلا أن تقود سيارتك من إدرميت متجهاً بمحاذاة بحر إيجة إلى أيفاليك ، وبالقرب من جوميس يمكنك أن ترى بأم عينيك ظلال سلسلة الجبال الواقعة على يسارك وقد رسمت صورة جانبية لوجه أتاتورك !

ولايملك المرء سوى أن يهنىء مؤسس تركيا الحديثة بعد أن رسم هذا المشهد الطبيعي الغريب في الواقع ، ملامحه الصارمة بشكل ملحوظ . والآن يتنبأ الناس بأن هذه الظاهرة سوف تتكرر في مناطق أخرى من البلاد .

ويبدو أن مصطفى كمال قد بدأ في شغل منصب جديد ، أي القدسية .

فهل سيكون لدينا في يوم ما القديس أتاتورك ؟

وزاد فهمي الآن لسبب عدم تسامح الإسلام في نحت تماثيل تمثل البشر ، لأنه لن يكون بوسعك مطلقاً أن تتكهن بما سوف ينتهي إليه مآلها.

وبالقرب من أيفاليك ، وفي أعلى خليج يكاد يغلقه البحر ومن ثم يطلقون عليه إسم « البحر الميت » ، يتدفق السائحون على ماأطلق عليه اسم « منبر الشيطان » – وهو عبارة عن صخرة ناتئة حيث ترك الشيطان أثراً لحافر حصان يتسع لتلقي قطع النقود المعدنية الصغيرة .

وبدأ الأمر مسلياً للغاية . إذ كلما قل اعتقاد الناس فى وجود الشيطان ، ازدادت شعبيته .

ولذلك أشاد شارل بودلير بالشيطان بقوله : « إن أعظم إنجازات الشيطان هو إقناع الناس بعدم وجوده » (وأعتقد أن نفس الشيء يمكن أن يقال عن المخابرات السوفيتية « كى جى بى »)

ولا ريب فى أنه ينبغى للمرء أن يعرف الشيطان ، الملاك الذى ضل والمدعو بإبليس ، والذى يعتبره المسلمون غاوياً فقط ، وليس كما تصوره الميثولوجيا الفارسية والألمانية القديمة كقوة مضادة لله .

وتبدأ تلاوة القرآن (وكذلك الصلاة) دائماً بهذا الدعاء : « **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** » .

ولدى عودتنا بعد أخذ حمام فى « أولودنيز » فى مياه لا تقل حرارتها عن ٣٢ درجة مئوية ، رغبنا فى زيارة مسجد أيفاليك الكبير ، وقد كان فيما مضى كاتدرائية للروم الأرثوذكس ، ولكن خلافا لعادة المسلمين كان مغلقاً . والحقيقة هى أنه لم يكن من المفروض أن يصلى المسلمون فى هذا الوقت مابين الصباح الباكر وصلاة الظهر أى لفترة تتروواح مابين ٦ - ٩ ساعات ، وإنما أن يعملوا . إلا أنه ، على خلاف الكنائس البروتستانتية ، فإن المساجد تظل مفتوحة عادة خلال هذا الوقت من النهار .

لقد حدث نفس الموقف معنا - أى وجدنا المسجد مغلقاً - لأول مرة منذ أسبوع مضى فى أوسكودار عندما حاولنا زيارة مسجد « سينيلى كامى » الشهير ، على الرغم من عدم وجوده فى مكان ظاهر ، والمبنى بقرميد أزرق منذ ٤٠٠ عام . وكانت الحجة فى المرتين واحدة ، وهى الخشية من سرقة السجاد .

وإذا سلمنا بذلك ، هل يكون من اللائق أن توصد الأبواب فى وجه المسلمين ؟

أليس من الأفضل أن يجرد المسجد من النفائس وتترك أبوابه مفتوحة بدلاً من ذلك ؟

عندما يجيش الحنين فى أوسكودار

أوسكودار ١٠ أغسطس ١٩٨٥

إذا واصل المرء صعوده لمنحدرات البسفور إلى علو كاف بالقرب من أوسكودار ، فلسوف يقف على مكان رائع هو عبارة عن تكية للدراويش كانت تخص مسلمين من أوزبكستان من أتباع النقشبندية – وهى طريقة دراويش من آسيا الوسطى أجاد البروفيسور دكتور أنمارى شيميل وصفها فى كتابه « **الأبعاد الصوفية فى الإسلام** » .

وفى وقتنا الحاضر أصبحت هذه التكية من أملاك الوقف ، ويشرف على إداراتها أسلاف شيوخ النقشبندية ، ويحملون فى الوقت الحالى اسم عائلة « أوزبك » .

وفى التكية يتقدم التعمير والتجديد من بناء بعد آخر . وهناك أماكن لمعيشة الرجال مستقلة (وإن كانت متصلة جيداً) عن أماكن معيشة النساء . كما يوجد فيها مسجد صغير ، ومطبخ فسيح ، وباحة ذات طابع رومانسى – بها نافورة وحوض ماء – ومقبرة فسيحة للدراويش لايكتمل المكان إلا بها .

وليس هناك مثل هذه البقعة ، تميزاً بالسلام والهدوء . حيث إن مجرد الوجود هناك يرقى إلى مرتبة الاستغراق فى التأمل الروحى . إنه مكان انتبذ لنفسه موقعاً قصيًّا بعيداً عن صخب العالم .

وإنه ليقف وحيداً خارج نطاق الزمن .

وطاف بخلدى أن هذا المناخ المشبع بالسكينة هو تجسيد لدعاء المسلم عندما يقابل أخاه المسلم بقوله : « **السلام عليكم** » !

كيف نواجه الموت ؟

أوسكودار - ١١ أغسطس ١٩٨٥

تعتبر مقبرة « كاراكا أحمد ميزارليجى » أكبر مقبرة فى الشرق ، إن لم تكن فى العالم بأسره ، وهى تغطى مساحة شاسعة من سهل مغطى بالأحراج فى أعالى أوسكودار . ففى داخل ساحة فسيحة تظللها أشجار الصفصاف لاترى أمامك سوى القبور الممتدة لعدة أميال ، والتى صممت جميعها على نحو يجعل الميت - المضطجع على جانبه الأيمن - يتجه بوجهه نحو مكة . وكان هذا التنظيم المتوازى لمثاوى الراحة الأبدية المخترق للمنحدرات الطبيعية قد أسفر عن تكوين لوحة طبيعية فريدة المظهر ، بدا معها وكأن هناك مغنطيساً هائلاً فى مكة يجتذب نحوه كل شىء وفى نفس الاتجاه .

كما أن هناك اختلافاً رئيسياً ثانياً فى المشهد بين المقبرة الإسلامية والمقبرة المسيحية ، وهو الغياب الملحوظ للنصب والتماثيل الدالة على الفخامة (وذلك على الرغم من أن الأتراك أكثر تسامحاً من أبناء عمومتهم العرب فيما يتعلق باستخدام الرخام) .

أما بالنسبة لمظاهر الحداد الصارخة من استرسال فى العويل ، وتمزيق الشعر والملابس ، وممارسة للطقوس حول الأضرحة ، وأى تكريس لمظاهر أمجاد الإنسان بعد موته ، فهى كلها مظاهر تتنافى مع نموذج السلوك الإسلامى .

ويغرى هذا المراقبين الغربيين بإساءة تفسير ضبط النفس على أنه تبلد فى الشعور . كما أنهم يخلطون بين الصبر على الشدائد وجمود العاطفة ، وكما لو كان قيام السعوديين فى عام ١٩٥٣ بدفن مليكهم المحبوب ابن سعود فى مقبرة للعامة بلا علامة تميزه دليلاً على افتقاره لاحترامهم وحبهم الشديد .

وهذا ليس صحيحاً ، أما التفسير الصحيح لهذه الظواهر فأمره هين :

فالمسلمون فى موقفهم السلبى من عبادة البطل فى شخص الميت ، يصدرون عن حرصهم الشديد على عدم الانزلاق إلى المساس بالتوحيد ، ومن ثم يريدون أن يؤكدوا من خلال موقفهم هذا أنه لامجال للعباقرة أوالأنبياء أو القديسيين لمشاركة الله فى مجده بعد وفاتهم ، لأنه (سبحانه وتعالى) يحكم بلا شركاء .

ومن ناحية أخرى فإن الغربيين كثيراً ما يبالغون فى تقدير الإختلافات بين الكونيات والإيمان بيوم الحساب فى المسيحية عنها فى الإسلام . إن الديانتين تسلمان بأنه « كلما اقترب هذا العام من نهايته باطراد ، ازداد العالم الآخر دنوًّا » (عبد القادر الصوفى) . فالمسيحى الورع مثل المسلم الورع يعد كل منهما نفسه كل يوم للقاء الموث . ومع هذا الانتظار الطويل الرمزى أمام جبل عرفات ، اكتسب موقف التأهب هذا طابعاً مؤسسياً فى شعائر الحج الإسلامى الإلزامية .

ومن المؤكد أن القرآن حافل بهذه الأوصاف المجازية للجنة والنار . وقد أضاف محمد (ﷺ) إلى أدبيات يوم الحساب روايته عن رحلته إلى القدس ، وعروجه منها إلى السماء (المعراج) .

وكما لو كان هذا ليس كافياً (وكما لو كان هناك المزيد الذى يجب معرفته) فقد انخرط الصوفيون المتنسكون فى قدح زناد فكرهم حول

التفصيلات الخيالية لمعنى المفاهيم الرمزية وملابساتها ، ومن قبيل ذلك **الصور** (الذى سينفخ فيه قبل الدينونة النهائية) ، **والميزان** (الذى ستوزن به الحسنات والسيئات) **والصراط** (الذى سوف يعبره المرء فى طريقه إلى الجنة) .
وفي بعض الكتابات مثل « كتاب الموتى فى الإسلام » لمؤلفه عبد الرحيم بن أحمد القاضى (١٩٨١) تجرأ المؤلف على إيراد وصف حسى مذهل لما يمكن تسميته بجغرافية الآخرة .

ومهما بلغت شطحات الخيال هذه فلن تجعل المسلم العاقل يعتقد أن مثل هؤلاء المؤلفين يعلمون حقيقة ما يتحدثون عنه . أن « كتب الموتى » هذه بكل ماتحويه من تعليمات رحيل حسنة النية للمرور من الحياة إلى الموت ثم إلى البعث ، إنما تدل فقط على عجزنا عن فهم المزيد عن الحياة بعد الموت أكثر مما جاء فى الوحى **بوضوح** .

وإني لأبغى أن أضع قدمى على أرض صلبة .

إن « كتاب الموتى » الذى اخترته هو سورة يس (رقم ٣٦ من القرآن)

مقابلة محمد أسد

لشبونة – ٢١ سبتمبر ١٩٨٥

في فندق تريفولى بلشبونة كنا ننتظر بشوق مقابلة محمد أسد وزوجته الأمريكية بولا حميدة . هاهما ذا أخيراً !

جاء يقود سيارته بنفسه وهو فى سن الخامسة والثمانين . وتحدثنا أولاً بالألمانية – اللغة التى كان يتحدث بها فى شبابه – ثم بالإنجليزية . ومع ذلك فقد كان على استعداد أيضاً لأن يشارك فى محادثة بالعربية ، والفارسية والفرنسية ، والبرتغالية ، والأسبانية ، والأردية .

ولقد طرحت عليه أسئلة كثيرة بالقدر الذى لايخرج بى عن حدود اللياقة لكى أعرف المزيد عن خلفية إنجازاته العلمية والأدبية الرائعة فى سبيل الإسلام ، والتى حققها خلال معظم هذا القرن . وذكّرته بالأمنية التى أعرب عنها فى الثلاثينات ، وهى أن يشغل الإسلام الفراغ الناجم الذى سيخلفه رحيل الإلحاد الغربى والشيوعى عن مسرح الأحداث فى حالة إفلاس روحانى .

ولقد تحققت نبوءته جزئيًا حيث يأخذ النظامان فى التداعى ولكن خلافاً لماجاء فى نبوءته فإنه لم يتم الاعتراف بالإسلام كبديل . ذلك أنه مامن دولة إسلامية قد استطاعت أن تطور نفسها بطريقة تجعل الغرب ينظر إليها كنموذج مضاد مقنع وجذاب – بل الأمر على النقيض من ذلك .

ولكن أسد وبالرغم من تقدم سنه – لم يغرق نفسه فى أحلام اليقظة ، ولا استرسل فى اجترار المرارة . كانت عيناه يقظتين ومدققتين ، وتحليلاته عميقة ومنطقية كدأبها دائماً .

وإذا كان ثمة شيء متضارب فى هذا السيد الرقيق الصوت ذى اللحية الصغيرة ، فهو التناقض الظاهر بين إسهامه الهائل فى إحياء الإسلام من ناحية ، وبين تواضعه الشديد إلى حد إنكار الذات وطيبته المفرطة من ناحية أخرى .

وليس ثمة أوهام تساور أسد فى أن هناك الكثير جدًّا مما يجب عمله حتى قبل أن تصبح الإنسانية مستعدة لقبول تحقيق تقدم استراتيجى للإسلام . وقال إنه ينتظر منى أن أتحمل شطراً من هذه المسئولية . ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٥٣) وليس هناك على الله مستحيل .

لا تلمس القرآن

لشبونة – ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

كان مسجد لشبونة الجديد الضخم ، والذى شيد على طراز مدرسة Bauhaus يوحى بأنه نسخة معدلة من جامع ابن طولون فى القاهرة . وقد قام المسجد فى مواجهة متحف « جو لبنكيان » (والذى يضم مجموعة رائعة من الفن الإسلامى الأصيل ينبغى رؤيتها) .

وحاليا يعيش فى البرتغال ١٥٠٠٠ مسلم معظمهم من طائفة الإسماعيلية فى موزمبيق (كان يعيش فيها عدد أكبر منذ ٧٠٠ عام) .

وعندما اقتربت من حامل القرآن (خشبى) فى المسجد اعترضنى شاب وقد بدا عليه الغضب حيث ظننى سائحاً – وليس مسلماً طاهراً – ينبغى له ألا يلمس القرآن .

ولكى يمكن للمرء أن يفهم رد الفعل الوقائى هذا يفترض علمه مسبقاً بأن محمداً (ﷺ) اعتبر نظافة البدن « نصف الإيمان » . وفى هذا السياق فإنه جرياً على السنة النبوية(الشريفة) ينبغى للمسلمين عدم قراءة القرآن مالم يتطهروا (مثل الاغتسال العادى تقريباً) .

كما اعتاد المسيحيون أيضاً أن يوقروا كتابهم المقدس عندما يعاملونه باحترام مماثل .

وعندما اكتشف إخواننا من موزمبيق أنهم أخطأوا فى معرفة هويتنا ، تراجعوا عن موقفهم وبذلوا جهد طاقتهم لجعل مقامنا فى لشبونة ميسراً وممتعاً قدر الإمكان .

إن الأخوة لا حدود لها .

مشوار طويل بين المؤسسات

رحلة الخطوط الجوية العالمية رقم ٨١٥ – ٩ أكتوبر ١٩٨٥

خلال رحلتى الجوية التى استغرقت ١٥ ساعة من بروكسل إلى سان فرانسيسكو (حيث من المقرر أن تنعقد جمعية حلف شمال الأطلنطى) وجدت لدىّ متسعاً من الوقت للقراءة الهادئة دون إزعاج عن تطور الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو تاريخ حافل بالتشويه الصارخ .

ففى عام ١٩٣٢ أسس « النبى » (الحاج) أليجا محمد منظمة المسلمين السود فى ديترويت . وهى منظمة عنصرية للنضال ضد البيض ذات طابع عسكرى .

وقد اتخذت « أمة الإسلام » هذه التى أنشأها أهدافاً سياسية ، انفصالية .

إلا أن الذين زاروا مكة ودرسوا فيها من بين هؤلاء النشطاء السياسيين قد تحولوا بطريقة غير متوقعة إلى مسلمين متدينين . وقد حدث هذا لبعض ذوى السمعة الطيبة / أو السيئة مثل مالكوم إكس (الذى قتل فى عام ١٩٦٥) ، وأحد الراديكاليين من ذوى السوابق الإجرامية مثل راب براون (والذى يدعى حالياً بجميل عبد الله الأمين) ، وولاس محمد ابن الحاج (اليجا) نفسه .

وبعد أن تولى ولاس محمد قيادة المسلمين السود لمدة عشر سنوات ،

اهتدى إلى الصواب وأدهش الجميع أثناء الاحتفال بالذكرى العاشرة لتوليه قيادة المنظمة (٢٠ أبريل عام ١٩٨٥) عندما أعلن ببساطة حل منظمته باعتبارها غير إسلامية . وطلب من إخوانه السود أن يستغنوا عن هذه المنظمة بالاتحاد على أساس القرآن و**السنة** فقط وباعتبارهم أمريكيين – مع طائفة المسلمين العامة التى تضم **كافة** المسلمين السود منهم والبيض .

وكما كان متوقعاً لم يتبع المسلمين السود السابقين نصيحته . وكان تحول مجرى الأحداث ثوريًّا إلى حد كبير بأكثر مما يتحمله كثيرون ، فأفرز المتطرفين السود حيث أسس لويس فاركان « أمة إسلام » جديدة تعتنق مبدأ عنيفاً فى معاداة السامية .

وبطبيعة الحال أضرت هذه التطورات بالصورة العامة للإسلام . بيد أن المستقبل حالف غالبية المسلمين السود الذين اتجهوا شيئاً فشيئاً نحو المصادر الحقيقية للإسلام الحقيقى . وفى يومنا هذا توجد ٥٠٠٠٠ نسخة من الترجمة الإنجليزية للقرآن فى التداول بسعر زهيد نتيجة لجهود منظمة (Tahrike, Tarsile) التى أنشئت منذ خمسة أعوام .

وإذا ماتساءل أحدهم : أين توجد « مطبوعات العهد الجديد » ، والتى تعد كبرى المؤسسات لتوزيع الكتب عن الإسلام والعالم الإسلامى ، وأكثرها تنوعاً فى العالم كله ؟

فلسوف تكون الإجابة : فى آن آربور بميتشجان بالطبع . وهل يوجد مكان غيرها ؟

مسلمون سود وإمام أبيض

سانِ فرانسيسكو - ١٠ أكتوبر ١٩٨٥

فى مكتب استعلامات الفندق اكتفوا بهز أكتافهم عندما استفسرت عن وجود مسجد بالمدينة ، وكان كل ما أحضروه لى عبارة عن « سجل للكنائس » يتضمن أسماء ٢٤ طائفة ، معظمها يكتنفها الغموض ، ولم يكن الإسلام بينها .

وعلى الرغم من ذلك لم نستسلم بسهولة ، ووجدنا ضالتنا فى دليل الهاتف حيث جاء فيه : « المركز الإسلامى ، ٨٥٠ شارع ديفيسادرو . الصلوات يوميًّا فى الساعة الوُحدة بعد الظهر ، وفى يوم الجمعة الساعة ١٢ ظهراً » (ويالها من طريقة غريبة فى نسخ إعلان على نمط أسلوب الكنائس بمواعيدها المحددة لأداء القداس) .

وبدا على البواب عدم الارتياح وهو يدلنا على موقع المسجد ، وكان كل ماقاله : « لا تسيروا على أقدامكم هناك وإذا كان لابد من ذهابكم فلتستقلوا سيارة أجرة ، وعلى أن يكون ذلك فى أثناء النهار فقط » . وكان ذلك تورية لقول : « احذروا ! حى السود » .

وبطبيعة الحال سرت على قدمى هذه المسافة التى تتراوح مابين ميلين إلى ثلاثة أميال ، ميمماً وجهى شطر الغرب دائماً ، خارجاً من شارع « جروف » بعد ميدان آلامو حتى انتهيت إلى حى راق للسود الميسورى الحال حيث كان الناس ودودين وغير متحفظين ، مشاركين

إياى الاستمتاع بالطقس المنعش والمشمس تحت قبة سماء كاليفورنيا الناصعة .

وفى المركز الإسلامى بكاليفورنيا لم يكن هناك سوى أربعة رجال سود اجتمعوا لأداء فريضة صلاة الظهر : أحدهم سيد مسن أبيض الشعر يجهد نفسه فى تلاوة القرآن بالعربية ، وآخر فمه خال تماماً من الأسنان ، والثالث مصاب بالتهاب مزمن فى المفاصل يعجزه عن الركوع والسجود -- وقد عرفت فيما بعد أنه المؤذن ، وأخيراً يوسف سيمون ، وهو شاب شيعى على درجة عالية من الذكاء يدرس العلوم السياسية . وبقفشة منه صور موقفه على أنه موضع تمييز من ثلاث نواح : فهو أسود بين البيض ، ومسلم بين المسيحيين ، وشيعى بين السُنّة .

وعندما نادى المؤذن للصلاة أدهشنى أن يبدأ بالنداء الثانى (**الإقامة**) وأن ينتهى بالنداء الأول (**الآذان**) . ولما لم يكن يراودنى شك فى كيف كان بلال – أول مؤذن فى الإسلام ، وكان أيضا أسود اللون – سوف يتصرف إزاء هذا الترتيب المعكوس ، فقد أشرت إلى هذه الغلطة بقدر مااستطعت من كياسة .

وعلى الرغم من أن النتائج كانت غير متوقعة إلا أنها كان لها منطقها . فقد قرر الجمع الصغير أننى المسلم الأكثر علماً بينهم ، ومن ثم اختارونى – وأنا الرجل الأبيض الذى جئت من حيث لايعلمون – **إماماً** لهم .

وهكذا وجدت نفسى لأول مرة فى حياتى أقف مباشرة فى مواجهة القبلة كى أصلى بجماعة المسلمين المحليين . ولم أفعل ذلك بالطبع إلا بعد أن أيقنت تماماً ، كما يفعل الإمام ، أن الجماعة المكونة من أربعة أفراد قد استقامت .

وانخرطت ، أثناء عودتنا بالحافلة ، فى نقاش حار مع يوسف حول أسباب الخلاف الشخصى الذى احتدم بين السيدة فاطمة والسيدة عائشة وفرق بينهما ، ممهداً الطريق فيما بعد لانشقاق طائفة الشيعة .

واستولت الحيرة على الركاب الذين جلسوا حولنا . ألم يدركوا بعد أن الحواجز العرقية لاوجود لها بين المسلمين ؟ أم أنهم لايصدقون أن النساء كن يقمن بأدوار نشيطة وحاسمة فى أيام الإسلام الأولى ؟

ما لا يجب أن يكون حقيقياً

أوسلو - ٢٨ أكتوبر ١٩٨٥

حظيت بشرف إلقاء محاضرة عن « منظمة حلف شمال الأطلنطى كمجتمع للقيم » فى الجمعية العسكرية فى أوسلو ، فى حضور صاحب الجلاله الملك أولاف الخامس ملك النرويج .

وقام منظم المحاضرة ، كما هى العادة ، بتقديمى على أساس النبذة التى قدمتها عن حياتى . وكما هى العادة أيضاً تغاضى فى تقديمه عن ذكر أمرين هما ديانتى ، ومؤلفاتى عن القضايا الإسلامية .

وحدث نفس الشىء منذ أسبوعين عندما ألقيت محاضرة فى دنفر بكولورادو (أمام مجلس الشئون العالمية) وفى سان بول بمينوسوتا (أمام لجنة العلاقات الخارجية) ، وفى جامعة سان جون البندكتى بالقرب من مينابوليس . بل إن مدير المراسم فى سان بول تطوع بإدخال تعديل على النبذة التى قدمتها عن سيرة حياتى عندما أعلن أننى أظهرت « اهتماماً بالدين الإسلامى » .

لماذا كانت لعبة الاستغماية هذه ؟

وهل اعتقد من استضافونى حقيقة أن اعتناقى الإسلام الوارد فى الوثائق الخاصة بى ، هو مجرد خطأ مطبعى من ضارب الآلة الكاتبة ؟
أو اعتقدوا أن ديانتى هى نوع من الضلال يتحرّجون من ذكره ؟
أو أن مايجب ألا يكون حقيقيًّا لايمكن أن يكون حقيقيًّا ؟

مرحبا بوحدة الوجود والهيجلية والغنوسطية !

بروكسل – ٢٥ نوفمبر ١٩٨٥

انقضت الآن عدة أسابيع منذ أن فتحت مجلة « فرانكفورتر الجماينه تسايتونج » منبراً للحوار الديني الذي أذكاه النقد الموجه لكتاب ليوناردو بوف المعنون « لاهوت الحرية » ، وتحزرات أورس فون بالتزار حول ما إذا كان هانز كونج البروفيسور السويسري الشهير في علم اللاهوت الكاثوليكي لايزال مسيحيًّا ؟ أم اعتنق الإسلام في حقيقة الأمر .

وكان المشهد رائعاً .

وسألت نفسي ما إذا كنا نشهد حدثاً إعلاميًّا – مجرد حوار بين متخصصين – أم أننا نشهد انفتاح آفاق أرحب ؟

وهل يكشف هذا الحوار عن وجود فراغ ديني ، أوالتعطش الشعبي إلى نوع من الأمن العقائدي ؟

وإذا ما أخذ المرء في حسبانه ذلك المعدل الخطير الدال على هجر المسيحيين لعقيدتهم وكنائسهم ، فإن مثل هذا الاستنتاج لايبدو غريباً .

إذ لم يجد الرئيس الألماني السابق البروفيسور الدكتور كارل كارستنز حرجاً في الحديث عن هذه الظاهرة المثيرة للقلق في جنيف في يوم ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ حيث قال : « وأما فيما يتعلق بتطورات المستقبل ، فإن أشد مايقلقني لايتعلق بالأسلحة الذرية ، ولابمشاكل البيئة ، ولا بالانفجار

السكانى فى العالم الثالث – إن أشد مايقلقنى هو أن تفقد حضارتنا بعدها الدينى ، وهو ما قد يعنى نهايتنا حقًّا : فالإنسان يعتبر نفسه محكًّا لكل شىء » .

ثم تحدث عن البيانات المؤسفة التالية :

خلصت نتائج استطلاعات الرأى حول « العقيدة الدينية » إلى أن ١٤٪ فقط يؤيدون التمسك بها ، وهكذا سقطت إلى قاع سلم القيم بين شباب الألمان . أن ٦٪ من الألمان البروتستانت ، ونحو ربع الألمان الكاثوليك فقط يداومون التردد على الكنائس بانتظام . والنشاط الملحوظ لعدد كبير من الشباب فى الكنائس فى غرب وشمال أوروبا إنما يرجع لأسباب سياسية فقط .

ويكتسب هذا الحوار فيما بين المسيحيين أهمية خاصة بالنسبة للمسلمين ، وذلك لأن كلا من بوف وكونج قد أدرجا من جديد على جدول الأعمال مناقشة طبيعة المسيح – وما إذا كان الإنسان والله غير منفصلين فى شخص واحد ؟- كما لو كان مؤتمرا نيقية وخلقدونية التعيسان لم يعقدا قط .

وفى هذا السياق يبدو من الواضح أن أى تبرير لمفهوم « التثليث » حتى فى أيامنا هذه يبدو أعرج .

ولننظر على سبيل المثال إلى أحدث طبعة من كتب التعاليم الكاثوليكية الموجهة للبالغين ، وماتنطوى عليه من منهج صوفى : « المغفرة هى الله ذاته من خلال تناول جسد المسيح بحلول الروح القدس . إن هذا المغزى لمعنى « المغفرة » فى أعمق معانيه ، يعنى أن الرب سوف يتقبلنا بلا شروط ، وأنه سوف يرضى عنا ويحبنا من خلال يسوع المسيح فى الروح والقدس ، وأننا من خلال هذا الحب **سوف نتحد به**

كلية ، وأننا من خلال ارتباطنا الشخصى وصداقتنا بالرب سوف نسهم شخصيًّا فى حياة الرب » .

وبأقوال مثيلة لهذه النصوص الملحدة (المطبوعة ببنط أسود) أعدم « الحلاج » الصوفى المسلم عام ٩٢٢ .

وبعبارات خاوية تم الربط بينها بألاعيب لفظية ، تحاول هذه التعاليم أن تجعل المكانة المزعومة للمسيح – كابن للرب متحد به – أكثر قبولاً من خلال تقريب كل البشر من هذه المكانة .

يا أهلا بمذهب وحدة الوجود ![1] .

ومن الجدير بالتنويه أيضاً تدخل البروفيسور هانز فالدنفيلز فى المناقشة الجديدة حول « التثليث » (فرانكفورتر الجماينه تسايتونج فى ٢٤ نوفمبر ١٩٨٥) ، حيث يذهب إلى أن تجسد الله هو « حقيقة جوهرية » . إذ أنه بتحول الله إلى إنسان يكون قد « سلخ نفسه عن نفسه » وانتهى فالدنفيلز إلى فرضية مرعبة ربما جعلت قلمه يلتوى على نفسه تقززاً : « إن الله تجسده قد تحول إلى شخص آخر » .

مرحباً بهيجل ! .

وفى « خطاب آخر موجه إلى المحرر » نشر فى اليوم التالى ، اتخذ كاتبه موقفاً شبيهاً بموقف الطبقة المستنيرة حيث كتب يقول « إن رسالة المسيح ليست موجهة إلى عقولنا .. إنها رسالة لأرواحنا » . إن الله قد خلقنا فى الأصل باعتبارنا أطفال النور الكاملين ، ومخلوقات روحانية

---

(١) مذهب وحدة الوجود هو المذهب القائل بأن الله والطبيعة شيىء واحد ، وبأن الكون المادى والإنسان ليسا إلا مظهرين للذات الإلهية . (المترجم)

خالصة » . ولم يخبرنا كاتب هذه السطور كيف يمكن للرسائل أن تصل إلى الروح عن غير طريق العقل .
مرحباً بالغنوسطية !!

ولكن كل هذا اللغو لم يبلغ بعد قمته التى وصلها بكتاب المؤرخ الفرنسى جين ديليمو المنشور أخيراً تحت عنوان « **هذا الذى أؤمن به** » . (Grasset 1985) .

ولقد صادفه التوفيق عندما بدأ بافتراض أن العقيدة المسيحية أضفت طابعا ثوريًّاً جذريًّا على النظرة إلى الله ، بحيث أصبحت قلة فقط من المسيحيين هى القادرة على إدراك حقيقتها فى أى وقت من الأوقات .

ولكن ديليمو أيد بعد ذلك الرأى المسيحى الخاطىء والقائل بأنه مادام يسوع المسيح هو الله ، فإنه الله يمكن أن يكون ضعيفاً وخنوعاً وعرضة للآلام . وفى الحقيقة – فإن الله وفقا لهذا المنطق سوف يظل يتحمل الآلام مع ، ومن خلال ، كل هؤلاء التعساء والبؤساء الذين توحد المسيح معهم . وقد أدى هذا المنطق بديليمو إلى أن يعرب عن أمله فى حدوث تغييرات كبيرة إلى الأفضل حالما يدرك الناس أن « الله يعانى مثلنا – بل أكثر مما نعانى – من شرور هذا العالم التعس » .

فهل تكمن الفضيلة فى الشعور بالرثاء للرب ؟

وعلى النقيض من هذه الاختلافات ، فإن نظرة الإسلام إلى الله لايشوبها التهافت ، وإنما تتسم بمنطقها القوى وبوضوحها . إنه (سبحانه وتعالى) كما صور نفسه بنفسه فى قرآنه : الواحد ، الأحد ، لم يلد ولم يولد ، الخالق ، الكامل ، ليس له كفواً أحد ، المهيمن ، المطلق ، المنزه عن النقص ، والغنى عن عباده . الله القادر ، الذى يهدى البشرية بواسطة أنبيائه دونما حاجة إلى أن يتجسد أو ينجب أو يضحى بنفسه .

وفى مواجهة هذه التخريجات المتعلقة بالتعليل اللاهوتى لشخص المسيح ، يحق للمرء أن يتدبر كلمه كلمه سورة الإخلاص الصالحة لكل عصر طوال الأعوام الـ ١٤٠٠ الماضية حيث يقول الله تعالى : ﴿ **قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ ★ اللهُ الصَّمَدُ ★ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ★ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ .

عينى عينك (بلا حياء)

بروكسل - ٢٩ نوفمبر ١٩٨٥

فى خلال أسبوع واحد تناولت مجلتا « التايم » (٢٠ ديسمبر ١٩٨٥) ، و« فرانكفورتر الجماينة تسايتونج » الأسبوعية (العدد ٣٠٠) ظاهرة مستوطنات الحسيديين[1] فى بروكلين (التايم) ، وفى حى مياشياريم فى القدس (فرانكفورتر الجماينه تسايتونج) .

ولقد أفاضت كل من الطبعتين فى وصف كيف أن هؤلاء الأصوليين من اليهود الأرثوذكس الذين يرجعون بأصولهم إلى شرق أوروبا يلتزمون بشدة بقوانينهم (الدينية) الصارمة التى تحكم الطعام ولباس المرأة . كما استطردت (الطبعتان) فى الحديث عن الفصل بين الرجال والنساء أثناء أداء الشعائر الدينية والاحتفالات العائلية مثل احتفالات الزفاف ، وتطرقتا كذلك إلى موضوع الشدة التى يأخذ بها الحسيديون أنفسهم فى دراسة التوراة والتلمود فى إطار مفاهيمهم المقابلة لمفهوم « التقليد » . ولاحظت كل من الدوريتين كذلك مظاهر التعصب والريبة فى دفاع المجتمعات الحسيدية عن أسلوب حياتها العتيق ، وبخاصة ماتعلق منه بعادات يوم السبت .

(١) الحسيديين طائفة يهودية متزمتة نشأت فى بولندا فى ١٧٥٠ تتمسك بالشعائر الأصلية . (المترجم)

وكان مما يثير الانتباه فى كل هذا الموضوع هو موقف المجلتين المتعاطف فى تعليقهما على سلوك الحسيديين ، فأضفت عليه « فرانكفورتر الجماينه تسايتونج » وصف « القوة الإيجابية » .

وكتبت مجلة « التايم » مستمدة تعليقها من كتاب ليس هاريس « الأيام المقدسة : عالم الأسرة الحسيدية » قائلة : إنه على الرغم من عدم اهتمام طائفة « اللونافيتشر » بالنساء ، فقد لاحظ هاريس الصبغة الإنسانية التى طبعت أسلوب حياتهن ، ومن ثم قال إن النساء قد وثّقن فيما بينهن رابطة أخوة على غرار تلك التى بين نساء الأمازون ، وأن الرجال يحترمون زوجاتهم وليس هناك دلائل ظاهرة على الخيانة .

وبعبارة أخرى فإن ماقد يوصم فى ظل ظروف أخرى بأنه دليل على التفرقة بين الرجل والمرأة ، نراه هنا يجد تأييداً باعتباره فصلاً إيجابياً بين أدوار الرجال والنساء .

إن المرء ليوشك أن يصرخ بملء فيه :

ياللعجب ! ياللعجب ! ولكن هل يمكن للمرء أن يتصور طبيعة التعليق الذى يمكن أن تلقاه نفس هذه الظاهرة من قبل الدوريتين لو أن الأصولية موضع التعليق لم تكن يهودية بل إسلامية ؟ فعلى ضوء الخلفية الإسلامية يلاحظ أن نفس القواعد ونفس التقاليد لابد وأنها كانت ستتعرض للإدانة باعتبارها تمثل ضيق أفق ، وتعصباً ، ولاعقلانية ، وأنها تقاليد غامضة ، وانتهاك لحقوق المرأة فى المعاملة المتساوية ، وأنها كلها أمور لا رجاء فى إصلاحها .

حقائق أسطورية

في القطار إلى هامبورج – ٤ ديسمبر ١٩٨٥

عند ما كنت فى طريقى لإلقاء محاضرة فى كلية الدفاع التابعة للقوات المسلحة الألمانية فى هامبورج – بلانكنيز ، قرأت كتاب كمال صليبى المعنون باسم « من الجزيرة العربية جاء الكتاب المقدس : لندن ١٩٨٥ » والذى اتبع فيه منهج التحليل اللغوى للأسماء الجغرافية . ويعرض هذا الكتاب الذى ألفه أستاذ بروتستانتى لبنانى نظرية مثيرة لنشأة إسرائيل .

فعلى النقيض من علماء الكتاب المقدس التقليديين ، نجده يقر بصحة الروايات التاريخية الواردة فى الكتاب المقدس ، إلا أنه يختلف عنهم بالنسبة للنطاق الجغرافى التقليدى الذى دارت فيه أحداثها . وقادته هذه الطريقة المبتكرة إلى نتيجة مفادها أن تاريخ القبائل اليهودية الأولى فيما قبل عام ٥٠٠ ق . م جرت وقائعه فيما بين الطائف وشمال اليمن / أى فى محافظة عسير الحالية فى المملكة العربية السعودية ، وتمكن من البرهنة على أن مئات المستوطنات والأنهار والجبال فى عسير تتفق فى تسلسل حروفها الساكنة مع نظيراتها الواردة فى الكتاب المقدس ، كما أن أطوال المسافات التى تفصل هذه الأماكن عن بعضها البعض تتفق مع الوصف الوارد فى العهد القديم ، وعلى النقيض من ذلك لم يجد صليبى دليلاً مماثلا فى القوة بالنسبة لفلسطين .

وإذا صدق القول بأن المادة العبرية للكتاب المقدس قد تم استقاؤها

من غرب الجزيرة العربية فيما يتعلق بعقيدة التوحيد ، وأن إبراهيم (عليه السلام ، قد عاش هناك ، فإن « الروايات التى جاء بها الإسلام حول تأسيس هاجر لمكة ، وبناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة الأولى تكتسب مصداقية هائلة .

وإنه لمن الطبيعى أن يبذل العلماء الإسرائيليون جهداً محموماً لتفنيد آراء صليبى خوفاً على الأساس القانونى لدولة إسرائيل ، كما لو كان من الضرورى لأى شعب أن يعيش فى منطقة معينة لأكثر من ٢٥٠٠ عام حتى يستطيع أن ينشىء له وطناً جديراً بالاحترام .

وأشار ناقدو صليبى إلى أنه ليس هناك سوى القليل جدًّا من التسميات القديمة المشتركة التى توجد فى كل من فلسطين وجنوب الحجاز . بيد أن هذه الحجة ليست قاطعة إذ من المعروف أن المهاجرين يميلون إلى أن يطلقوا على مدنهم الجديدة أسماء المدن التى عاشوا فيها ، ويكفى أن نذكر بسمارك وداكوتا الشمالية ، أو أثينا وبنسلفانيا .

والأهم من ذلك أن منهج صليبى قد مكنه من أن يحقق العديد من الروايات القرآنية عن أنبياء اليهودية ، وأن يخلص فى النهاية إلى أن هذا التسجيل القرآنى للأحداث فى عصر الكتاب المقدس ليس مجرد نقل لمادة توراتية مبتورة مستقاة من الأقوال السماعية العابرة (كما يميل بعض الخبراء الغربيين إلى الاعتقاد) . ويذهب صليبى إلى أن القرآن يتضمن نصوصاً أصلية ومتفردة لأحداث التوراة .

ولم تقتصر جهود صليبى على اكتشاف موقع أورشليم الأولى فى منطقة عسير (الشاريم على مسافة ٣٥ كم إلى الشمال من نيماس) ، وجنة عدن (واحة الجنينة فى حوض وادى بيشا) فحسب ، وإنما استطاع كذلك أن يكتشف موقع سدوم وعمورة والمجرى الأصلى لنهر الأردن (المنحدر الجبلى فى سارات) .

وإذا ما قدر لهذا البحث اللغوى أن يثبت حجيته ، فإن صليبى يكون قد تمكن بخبطة عبقرية أن يكشف الكثير من الأسرار التاريخية للكتاب المقدس والقرآن فى آن واحد ، بما فى ذلك كل التقاليد التى تربط كلاً من العقيدة الموسوية والإسلام بأبيهما الروحى المشترك إبراهيم / إبراهام . وعلى أية حال فإن صليبى يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن إبراهيم (عليه السلام) قد عاش فى منطقة رجال علما ، ومنطقة القنفذة الجبلية أى فى جنوب الطائف .

وبعبارة أخرى فإن أبحاثه تزيد من مصداقية طقوس الحج إلى مكة وعرفات والمزدلفة ومنى .

في القطار إلى بروكسل – ٥ ديسمبر ١٩٨٥

في عدد شهر نوفمبر ١٩٨٥ من مجلة « الجزيرة العربية » ، أثار فتحي عثمان موضوع أن الفكر الإسلامي المعاصر يبدو غامضاً فيما يتعلق بكيفية رؤية حقوق الإنسان الاساسية من منظور إسلامي (ص ١١) .

وللأسف فإنه كان محقًّا في ذلك .

إذا كلما وجهت أسئلة إلى مسلمين حول موقفهم من المنجزات الرئيسية للثورتين الأمريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر ، جاء رد فعلهم متضارباً بشكل غامض .

فمن جانب نجد أن هناك بين المسلمين مفكرين مبرزين من أمثال محمد أسد وفتحي عثمان نفسه ، الذين ، وإن لم يكونوا تصحيحيين معاصرين ،فإنهم يتناولون صراحة وبلا مواراة مسألة ما إذا كان جوهر الإسلام ومنطقة لايزالان يتفقان مع روح العصر .

ومن جانب آخر نجد مؤلفاً مثل أوجوزان سيمسيك ، الذي قام في عدد أول نوفمبر ١٩٨٥ من مجلة «Hicret » بما يقرب من التنصل من الديموقراطية بقوله :

« ماهي الديموقراطية ؟ إنها ليست إسلامية .» .

والأكثر من ذلك أن الدول الإسلامية لاتسير على وتيرة واحدة بالنسبة

لتقنين حقوق الإنسان ، سواء تعلق الأمر بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨) ، أو بالمواثيق الدولية الخاصة بالحقوق المدنية ، والسياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩ ديسمبر ١٩٦٦) .

حيث قامت كل من مصر ، والعراق ، والأردن ، ولبنان ، وليبيا ، ومالى ، والمغرب ، وسوريا ، وتونس بالتصديق السريع - نسبيًا - على هذه المعاهدات ، بينما ترددت دول أخرى . ومن بين المجموعة الأخيرة قامت المملكة العربية السعودية ، وباكستان منذ عام ١٩٨٠ بدور حاسم فى تطوير مجموعة من حقوق الإنسان الإسلامية . ويرجع هذا إلى حقيقة أن النظرية الغربية لحقوق الإنسان لاتتفق تماماً مع الشريعة الإسلامية ، ومن قبيل ذلك ماتفرضه على المرتدين من عقوبات قانونية ، ولاتضع المرأة على قدم المساواة التامة مع الرجل ، ولاتسمح لغير المسلمين بتولى أعلى المناصب فى الدولة الإسلامية .

وفى الحقيقة فإن الفقية الإسلامى لايستطيع أن يتجاهل وجود نظام الرق (والذى لايُسمح به فى الواقع فى أى مكان) ، وعليه أن يضع فى حسبانه حقيقة أن القرآن قد تعرض لموضوع الرق فى كثير من الإسهاب ، فحرص على الحد من ممارسته وإن لم يلغه تماماً .

ومع ذلك فإن مشكلة الردة هى أبسط حالاً مما تصور ، على الرغم من أن المرتدين كانوا يقتلون فى العصور الوسطى فى بعض الأحيان . إن قراءتنا للآية ٣٣ من سورة المائدة [1] يجب ألا تؤول على أنها

---

(١) تقول الآية : « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض - ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

التغيير السلمى للمعتقدات الدينية ، وإنما يذهب اعتقادنا أن هذا الجزء القرآنى ينصب فقط على جرائم الخيانة العظمى والتآمر الفعلى على دولة إسلامية ، وهى جرائم تعاقب عليها معظم الدول الحديثة بعقوبة الموت .

وفى اليسير أيضاً الدفاع عن منطق حظر تولى منصب **الأمير** أو **الخليفة** على غير المسلمين ، وخاصة على ضوء الحماية الكاملة التى يكفلها القانون الإسلامى (الشريعة) للأقليات الدينية وغيرها .

وطبقاً لقانون الولايات المتحدة فإن ابنى الكسندر ، والذى ولد مواطناً أمريكياً لايستطيع أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة لأنه ولد خارج الأراضى الأمريكية . وإذا كانت هذه القاعدة لاتمثل إنتهاكاً لحقوق الإنسان ، فإنه من الواجب أيضاً أن نقبل بشكل مماثل الاحتفاظ بمناصب معينة للمسلمين فى الدولة الإسلامية .

وهذا يقودنى إلى التعارض بين النظرية الغربية والشريعة الإسلامية فى مجال مساواة المرأة . إذ ليس هناك من جدوى فى إنكار أن **الشريعة** تقدم نموذجا مضادًّا (للنموذج الغربى) ينطلق من التقسيم الطبيعى لدور ووظيفة كل من الجنسين . وتأسيساً على ذلك فإن الشريعة تلتزم بمبدأ « أن المساواة فى المعاملة لاتطبق إلا فى الظروف والمواقف المتماثلة ، وليس فى الظروف والمواقف المختلفة » . وفى كل الأحوال فإن الشريعة الإسلامية تحرص على صون كرامة المرأة ، ومنع استغلال الرجل لبعض نقاط الضعف الأنثوية الكامنة فى الاختلاف البيولوجى . وهكذا جاءت الصيغة الإسلامية : المساواة فى الكرامة مع اختلاف الأعباء ، والمساواة فى المنزلة مع اختلاف الأدوار ، والمساواة فى القيمة مع اختلاف القدرات .

وليس هناك من طريقة موثوقة لقياس ما إذا كانت النساء الغربيات

العاملات ، كنتيجة لما يتمتعن به من تحرر أوسع ، قد حققن مرادهن وسعادتهن أكثر من أخواتهن الشرقيات . هناك الكثيرون الذين يقولون بغير ذلك . وعلى أية حال فإن الشك يساورني في وجود نظام ليس بوسعه أن يضمن للمرأة « حياةً كريمة » ، إذ أن هذا الأمر يتوقف إلى حد كبير على سلوك الإنسان مع الآخرين ومع نفسه .

إن السعادة مناطها القلب .

ولكن هناك شيء واحد ينبغي للنقاد الغربيين احترامه ، وهو : أن المسلمين يعتبرون أن الله (سبحانه وتعالى) هو صاحب القول الفصل فيما يتعلق بحقوق الإنسان ، وأن هذا القول يوجد في القرآن .

خرافة دراسة المعانى الخفية للأعداد

بروكسل – ١٦ ديسمبر ١٩٨٥

يعتبر القرآن بالنسبة للمسلم تثبيتاً لوحى الله (سبحانه وتعالى) إلى الإنسانية مصاغاً فى لغة عربية . تلك هى الخلفية التى يمكننا أن نقرأ على ضوئها هذا التحدى الساخر الوارد فى الآية ١٣ من سورة هود :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ...»

من أجل ذلك يبدؤ من البديهى أن يدفع الفضول بالمسلمين إلى محاولة الكشف عن الهيكل الداخلى ، عن التصميم المعمارى للقرآن الكريم مثلما يحاول المنجمون أن يفعلوا مع نظام الكونيات بأسره .
ومن الطبيعى أن تُذكى هذا المسعى رغبتهم الخاصة فى الوقوف على سر مايسمى بـ « **المقطعات** » ، وهى تلك التركيبات الغامضة المكونة من بعض الحروف التى قد تصل إلى خمسة حروف فى مطالع العديد من الصور .

ولقد استخدمت دراسة المعانى الخفية الباطنية للأعداد ، فى الإسلام كأسلوب تقنى محدد لفك هذه الطلاسم ، وغيرها من معضلات التفسير .

ويفترض هذا النهج الباطنى المستمد من القبلانية [١] أن الكلمات ،

---

(١) فلسفة دينية سرية « عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصور الوسطى ، تفسر الكتاب المقدس بطريقة صوفية » .

شأنها فى ذلك شأن الأعداد ، يمكنها أن تشير إلى أعداد معينة أو تمثلها ، كما تفترض كذلك مدلولاً سريًا لهذه الأعداد .

والدليل على ذلك هو الغياب الملحوظ لرقم ١٣ على أبواب الفنادق ، وهى عادة منتشرة خارج العالم الإسلامى أيضاً . ولقد وصف العلامة بابوس – وهو زعيم القبلانية – هذه الطريقة بعبارات واضحة : « استبدل الحروف بالأرقام ثم اعمل عكس ذلك ، واجر عمليات حسابية على هذا الأساس » («القبلانية» فيسبادن ١٩٨٣) .

ومن البديهى ، أن الرموز العددية حتى لو قدمت باعتبارها علمية ، لاتعدو أن تكون مجرد تخمينات مستمدة من افتراضات خيالية عن القيمة « الطبيعية » الكمية والكيفية لحروف هجائية معينة . وفى الواقع يمكننا أن نعتبر مذهب الثيوصوفية القبلانية كضرب من ضروب الكيمياء ، أو صوفية حسابية تسعى إلى امتلاك قدرات سحرية وتجليات تنبئية .

ومن المثير للدهشة أن يقوم أحد رجال اللاهوت المسيحيين مؤخراً بإجراء تحليل عدادى للقرآن تحت عنوان « **محمد والمسيح – النصوص المتعلقة بطبيعة المسيح فى القرآن** » (فيينا ١٩٧٨) . لمؤلفه البروفيسور كلاوس شيدل ، والذى طبق أسلوبه « تقنى عقلى » ، على غرار القبلانية ، على ٥٠٠ صفحة محصياً ومضيفاً وحاذفاً وواضعاً أرقاماً آحادية من اليسار إلى اليمين ، ومن أعلى إلى أسفل ، ليخرج فى النهاية بأن :

– القرآن جيد الإحكام .

– محمد كان فناناً مبدعاً ، وكاتباً صقل كتابه حتى رضى عن بلوغه حد الكمال من الناحية الفنية (ص ١٦٦) .

– أن الرواية القرآنية عن المسيح قريبة الشبه بتلك الواردة فى العهد الجديد مما يشير بنجاح قيام حوار مسيحى – إسلامى حول رسالة المسيح (وليس مكانته أو طبيعته) .

وفى هذا السياق كان شيدل أميناً بما فيه الكفاية ليقتبس فقرات من أعمال الرسل (٣ : ١٣ ، ٢٦ و٤ : ٢٧ ، ٣٠) لكى يذكر قراء بأن المسيحيين اليهود والسوريين الأول – على النقيض من ذوى الخلفية الهلينية واللاتينية – قد نظروا إلى المسيح باعتباره عبد الله فقط . بل واعترف كذلك بأن هذه المسيحية الأصلية السامية تتفق مع الإسلام .

وإنه لمما يدعو للتفاؤل أن ينتهى أحد العلماء المسيحيين ، وبعد دراسته للتاريخ المأسوى للكنيسة النسطورية إلى هذه النتيجة . ولكن مما يدعو للأسف أنه وصل إلى هذه النتيجة على أساس من هذه الخرافة المتعلقة بدلالة الأعداد ، وأنه انتقص من قيمة محمد برفعه إلى مرتبة الكاتب المبدع .

لأن الله هو الذى أحكم بناء القرآن .

وبصراحة تامة ليس هناك مايستحق القراءة بعد صفحة ٣٤ من كتاب شيدل حيث يقول : « ولما كانت الحروف هى أعداد أيضاً ، فإننا نضيف قيمها العددية المقابلة » .

وعند هذا الحد بالذات يختفى العلم ويبدأ السحر .

ويالها من غطرسة عندما يقال إن الهجائية العبرية لاتمثل نظام دلالة الأعداد الآتى من عند الله فقط ، وإنما أنها تحدد نظام دلالة الأعداد فى الهجائية العربية كذلك .

وإذا كان لى أن أتساءل لماذا يعتبر حرف الألف ممثلاً للرقم (١) ، والتاء لرقم (٤٠٠) ، والراء لرقم (٢٠٠) فى الوقت الذى لايمثل

حرف الهاء سوى (٥) فقط ؟ ومن الذى قرر أن رقم (٥٥) يشير إلى الكمال الأسمى ؟ بربكم خبرونى .

وأنه لمن الطريف أن تشاهد هؤلاء اللغويين القبلانيين وهم يمارسون عملهم . وإحدى الاعيبهم هى انخراطهم فى محاولة صنع نبوءات تتحقق ذاتيًا ، حيث يظلون يغيرون من أساليب ومعايير العد حتى يقفوا على العدد ذى الأهمية الرمزية ، وهى نتيجة مضمونة من الناحية العملية مادام القبلانيون قد أعطوا لكل تركيبة عددية تقريباً قيمة رمزية .

وقد تساعد المقتطفات التالية على تعرية هذه الأساليب :

- بما أن هناك ٨٦ سورة مكية ، « فإن الفكرة التى تفرض نفسها هى أن الرمزية العددية تقوم بدورها ، لأن ٨٦ هى القيمة العددية لإلوهيم - الاسم العبرى (لله) » (ص ٣٨) .

- وفى تقديرنا أنها (أى المقطعات الغامضة) هى عبارة عن علامات إنذار « تقنية عقلية » لحماية الآيات التالية لها (ص ٢٠٥) .

ومن الواضح أن أولئك الذين يعولون على هذه التخمينات لن يخفقوا مطلقاً فى تحقيق انتصارات باهرة فى المسائل الباطنية .

إن قبلانيى القرن العشرين ، والذين تعلموا فن معالجة المعلومات فى الحاسب الآلى يرغبون بلا ريب فى تحليل آيات القرآن . ولذلك ينبغى لنا أن نتأهب لمواجهة الانهيار المحسوب لأسلوب محمد (ﷺ) ، وتفضيله لحروف معينة ، وهو ماسوف يفتح الباب واسعاً أمام المزيد من الألاعيب « الميكرو إلكترونية » فى التفسير مؤكداً بذلك المثل الألمانى القائل : « كلما قل الإيمان زاد مابعد الإيمان » .

هل رقم ١٩ هو مفتاح السر ؟

بروكسل – ١٧ ديسمبر ١٩٨٥

في الآية الثلاثين من سورة رقم ٧٤ المدثر يقول الله تعالى « عليها تسعة عشر .. » . ومن نافلة القول أنه قد جرت محاولات عديدة عبر القرون للوقوف على سر هذه الآية الغريبة . فهل كانت تشير إلى عدد الملائكة الوارد ذكرهم في الآية التالية ؟ أو تراها تشير إلى عدد كوني يمثل حاصل جمع عدد الكواكب والعلامات الفلكية (كما تذهب إلى ذلك الغنوسطية) ؟ أم أنها تدل على عدد وظائف الجسد والروح التسع عشرة التي عددها (هكذا) الأطباء المسلمون في العصور الوسطى ؟ العلم لله وحده .

وفي كتابه « القرآن : تجلي المعجزة عياناً » ، (تاكسون ١٩٨٢) ، قام رشيد خليفة ، إمام مسجد تاكسون في ولاية أيزونا ، بعمل دراسة للدور الذي لعبه الرقم ١٩ في البنيان القرآني بأسره . وفي النهاية تمكن من إثبات أن الرقم ١٩ يشكل عنصراً بناء فيما لا يقل عن ٥٠ وجهاً من الوجوه ، دون أن يلجأ إلى استخدام الأساليب الباطنية في ذلك . فقد لاحظ على سبيل المثال :

- أن « **البسملة** » التي تبدأ بها كل سور القرآن باستثناء سورة واحدة تتكون من ١٩ حرفاً .
- أن الآيات الخمس الأولى في أول سورة نزل بها الوحي (سورة العلق) تتكون من ١٩ كلمة .

– أن عدد سور القرآن هى محصلة ضرب رقم ١٩ × ٦ = ١١٤ سورة .
– أن اسم الله (سبحانه وتعالى) ظهر ٢٦٩٨ مرة فى القرآن ، وهو رقم يقبل القسمة على ١٩ .

والمدهش أكثر من ذلك أن رشيد خليفة اكتشف أن الحروف الغامضة التى تبدأ بها افتتاحيات كثير من السور (الكلمات المقطعة) تظهر دائماً فى كل من سورها فى عدد يمثل مضاعفات الرقم ١٩ . ويرى المؤلف أنه قد استطاع بهذه الطريقة أن يبرهن بشكل مادى على أن القرآن من مصدر آلهى ، ومن ثم يمكن أن تكون **المعرفة** بديلاً عن الإيمان .

وفى الواقع فإن خليفة يريد أن يلمح من خلال تحليله القرآنى إلى أنه قد نجح فيما لم يحققه الفلاسفة من قبله ، أى فى إقامة الدليل المادى على وجود الله .

كما زعم أيضاً أنه قد برهن على أن نصوص القرآن لم تتبدل مطلقا عن شكلها الراهن ، ولم يدر بخلده أن منطقه هذا لم يأت بجديد . ولكن ألا يمكن أن يكون استعمال الرقم ١٩ على هذا النحو قد أضر بالمضمون اللغوى ، والتكوين البنيانى للقرآن من ناحية أخرى ؟

وفى تقديرى أن طريقة رشيد خليفة هذه قد أثارت من التساؤلات أكثر مما يمكنها الإجابة عليه :
– فهل من المسلَّم به أن الوحى الشفوى كان له بنيان عددى ؟
– ألا يمكن لمحاولات جادة مماثلة أن تصل إلى بنيات قرآنية تعتمد على أعداد أخرى بنفس الطريقة ؟
– ومن ناحية منطقية بحتة ، هل يعتبر الدور البنيوى للرقم ١٩ دليلاً قاطعاً على وجود علاقة مابين الآية الثلاثين من السورة رقم ٧٤ وبنيان القرآن أو أن الأمر لايعدو أن يكون مجرد مصادفة ليس إلا ؛

- هلى يمكننا أن نفترض بأن تنظيم القرآن (طبقاً لنزول الوحى) لم يكن قط ثمرة جهد بشرى فى جمعه ؟ وهل أمر الله (سبحانه وتعالى) مثلا بالفصل بين السورتين ١١٣ و ١١٤ ؟

إنى مازلت فى ريب من كل التفسيرات التى على هذه الشاكلة . إذا عندما نشهد بأن « لا إله إلا الله لاشريك له » فإننا لانفعل ذلك تحديداً لوجود أدلة مادية على ذلك .

والحقيقة هى أنه ليس هناك بديل عن الإيمان .

الثبات على المبدأ على طريقة الدكتور كونج

بروكسل – ١٥ يناير ١٩٨٦

مضت فترة من الوقت منذ أن شجر الخلاف بين عالم اللاهوت السويسري الشهير الدكتور هانز كونج – الذي يشغل حالياً منصب مدير معهد الأبحاث المسكوفية في توبنجن (ألمانيا) – وبين الأصولية الكاثوليكية ، ثم وصل خلافه مع روما إلى مستويات جديدة بعد أن نشر كتابه « المسيحية والأديان العالمية » .

وكان من المثير حقًّا أن يسلم كونج بأن محمد (ﷺ) هو نبي حقيقي بمعنى الكلمة . ومن هذا المنطلق يكمل كونج العمل الذي بدأه البروفيسور الدكتور رودلف بلتمان في جامعة « ماربورج » من تخليص العهد الجديد من الأساطير ، وكان من المنطقي أن يعمل كونج على إشراك كل الأديان الرئيسية في « الحوار العالمي » الذي كان مقصورا فيما قبل على الطوائف المسيحية .

وفي حلقة دراسية عن « العالم الإسلامي بين المحافظة على التقاليد والتقدم » عقدت في مدينة شتوتجارت عام ١٩٨٥ ، أشار كونج إلى أن الكنيسة قد كفت عن الدفاع عن مبدئها التقليدي الذي استنته عام ١٤٤٢ والقائل بأنه « ليس ثمة خلاص خارج مملكتها » ، واستخلص من هذا التطور نتيجة تبعية مفادها بطلان مقولة أنه « لا أنبياء من خارج الكنيسة » ، وذلك خلافاً لما انتهى إليه مجلس الفاتيكان الثاني من مقررات (١٩٦٢ – ١٩٦٥) .

وأشار كونج إلى أنه مع الاعتراف الآن – الذى جاء متأخرا عن موعده – بأن الإسلام هو ، كعهده دائماً ، طريق حقيقى للخلاص ، فإن الكنيسة لايمكنها أن تستمر بعد ذلك فى إنكار أن محمد (ﷺ) المرشد والقائد على هذا الطريق يعد نبيًّاً حقيقيًّا بكل معنى الكلمة .

كما يشاطر كونج المسلمين الاعتقاد بأن العهد الجديد قد بشر بمجىء نبى آخر ، ولايخامره الشك فى أن « هناك تشابهاً بنيوياً بين الرسالات النبوية الواردة فى كل من الكتاب المقدس والقرآن . (Zeitschrift für Kulturaustausch, 1985/3 P. 315) .

ولقد طلب من خصومه الساخطين فى الكنيسة الكاثوليكية أن يحاولوا فهم الإسلام ، وأن يؤدوا واجبهم ،ولو مرة واحدة ، تجاه هذه الديانة العالمية التى طال تجاهلها .

ويبدو أن بعض القساوسة الكاثوليك قد استجابوا لهذه الدعوة حيث اعتنق الإسلام قسيسان تابعان لأبرشية باريس مؤخراً .

وجملة القول أن تقدير الأستاذ كونج بأن الغربيين لايعرفون إلا النذر اليسير جدًّا عن الإسلام هو تقدير صائب ، اللهم إلا باستثناء تلك القلة الضئيلة للغاية من المثقفين والفنانيين الغربيين الذين اكتشفوا الإسلام من أمثال النمساوى ليوبولد فايس (محمد أسد) ، والبريطانيين ريتشارد بيرتون ، ومارمادوك بكتال ، ومارتن لنجز وكات ستيفنز ، والفرنسيين لويس ماسينيون ، ورينيه جينو ، وإيفا دى فترای میيروفيتش ، وروجيه جارودى ، وموريس بيجار .

وحتى معظم المستشرقين الغربيين لم يوفقوا فى فهم الإسلام فهماً متعمقاً .

ألم يخدموا – بالوعى أو باللاوعى ـ المصالح الاستعمارية إلى حد

كبير عندما يقومون بتقييم الإسلام على ضوء معيار الحضارة الغربية الذى يعتقدون بعالميته ونظامه القيمى ؟

وفى مجلة « عرض كتاب العالم الإسلامى » (المجلد السادس ، العدد الأول ، صفحة ٥) نقل بارفيز منصور عن ايجناتس جولدزير اعترافه : « إذا ماطبقنا مناهج القرآن على الأناجيل فماذا يتبقى منها بعد ذلك ؟ » .

إن الإجابة الحصيفة المقنعة لهذا السؤال الوجيه للغاية تفترض بداءة دراسة كيف تأثرت صياغة وتفسير العهد الجديد بالنظريات الفلسفية والأسطورية السائدة فى ذلك الحين . أى العلاقة بين :

- ميتراس ابن إله الشمس عند الفرس (وعبادته الغامضة) وبين « يوم الشمس » فى المسيحية - اللاتينية ، ويوم الأحد (يوم الشمس) فى الميثولوجيا المسيحية .
- بين الآلهة المصرية إيزيس (نجمة البحر) - إحدى أشخاص ثالوث الآلهة المقدس المصرى - وبين الإلهة الأم الرومانية ماجنا مارتا (وتعرف أيضاً باسم ديا ديا وكيبيلا) ، والعبادة المسيحية لمريم باعتبارها « أم الرب » .
- بين التقاليد الرومانية فى تأليه الأباطرة الراحلين بقرارات من مجلس الشيوخ الرومانى ، وبين قرار مجمع « نيقية » فى عام ٣٢٥ برفع المسيح إلى مرتبة الألوهية .

وفى الحقيقة أننا إذا طبقنا قواعد البحث التاريخى على مصادر الديانات ، وحصيلة مفاهيمها ، فإنه ليس هناك مايثير خشية الإسلام فى الوقت الذى يوجد فيه كل مايثير خشية المسيحية .

إن هانز كونج يرى ذلك . ولقد بدأ يضع قدميه على الطريق الذى سوف يؤدى به - فى النهاية - إلى اعتناق الإسلام بمشيئة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد ٢١ من رمضان المعظم ١٤١٤هـ (٢١/٣/١٩٩٤م)

صباح اليوم (البيت أعلى الهضبة) أتممت قراءة
هذا الكتاب خلال فترة امتدت إلى أسابيع
(مع قراءاتي وأعمالي اليومية الأخرى)

أسأل الله أن ييسر لي الأسباب لإعادة
قراءته وتسجيل انطباعاتي وتعليقاتي

والحمد لله

الطالب

فهرس أسماء الأعلام

(أ)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الموضوعات

(أ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

رقم الايداع

١٩٩٣ / ٧٣٠٧